رضوان ابن شقرون

قبسات
من نور القرآن العظيم

العناصر

الكتـــــاب : قبسات من نور القرآن العظيم
المؤلـــــف : رضوان ابن شقرون
الطبـعـــة : الأولى رمضان 1423 (نونبر 2002)
النـــاشــر : محسنـــون
الصـــف : التصفيف والإخراج المؤلف

الطبــــع : مطبعة النجاح الجديدة – الدارالبيضاء
الإيـــداع : القانوني رقم 2002/2022

بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله عرفنا عظمته بدلائل آياته، ودلنا على قدرته بعظائم مخلوقاته، ونبهنا إلى جلال قدره بآلائه ونعمائه؛ الحمد لله أنطق الحي والجامد بتسبيحه وتمجيده، **"يُسَبِّحُ لَهُ السماواتُ السبعُ والارضُ ومَن فيهِنَّ،وإنْ مِّن شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمدِهِ ولكن لا تَفْقَهونَ تَسبيحَهُمْ، إِنه كان حَليماً غفورا**(1)؛ الحمد لله عرفنا بأسمائه الحسنى وبصفاته التامات العلا، ولفت القلوب الأواهة والنفوس الأوابة إلى إحيائها بالذكر والتسبيح،وصقلها بالدعاء وبالتهليل، لربطها بخالقها، وتوجيهها إلى فوزها وفلاحها.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير وإليه المصير يحيي ويميت وهو حي لا يموت وهو على كل شيء قدير؛ أمر سبحانه بذكره، وأنطق الجن والإنس بأسمائه وصفاته، تمجيدا له وتعظيما، وإعلاء لشأن العباد وتكريما.

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا محمدا عبد الله ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين وأوحى إليه بالقرآن العظيم، وجعل وحيه الحكيم خير الذكر وأعظمه. ذكر ربه عند الملمات والشدائد، وشكره عند الخيرات والفوائد، وجاهد في الله صابرا محتسبا فكان خير مجاهد؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آل بيته الكرام الطيبين، وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، ورضي الله تعالى عن صحابته الفضلاء المجاهدين، وعن التابعين وتابعيهم ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم واستن بسنتهم ودعا بدعوقم وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين. اللهم اجعلنا في أثرهم سائرين، وعلى نهجهم وطريقهم باقين، وإلى النعيم المقيم معهم صائرين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(1) سورة الإسراء44/17

وبعد، فهذا تذكير ببعض الفوائد القرآنية، وتنبيه لغرر من الفرائد الإيمانية يجمل بكل مؤمن أن يواظب على ذكرها ويجتهد في التزامها طلبا للفضل وسعيا لابتغاء مرضاة الله عز وجل وحفظا للإيمان وتقوية له وارتباطا بالخالق الجليل جل علاه؛ اجتهدت فيها أن تكون الروايات صحيحة موثقة، والتوجيهات مرشدة نافعة، والمنهج سُنّياً ملتزما ما أمر به الله عز وجل ورسوله ﷺ من العمل بالقرآن العظيم، واتباع سنة النبي الكريم وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وسميته : **قبسات من نور القرآن العظيم** أبتغي بذلك وجه الله العزيز الكريم، وأطمح إلى التقرب إليه بفضله ومنه، وأن ينفعني وينفع القارئ به، وأن يجعله عملا صالحا خالصا لوجهه الكريم.

وإذ علّمنا رسولنا النبي الأمي ﷺ أن نكافئ من أسدى إلينا معروفا فإن لم نجد ما نكافئه به فلندع له حتى نعلم أنا قد كافأناه، وليس لدينا ما نكافئ به المحسنين الذين طلبوا كتيبا يقدمونه للأمة بمناسبة رأس السنة القمرية 1423، فإننا ندعو لأخينا في الله الذي قام بهذه المبادرة أن يبارك الله له في رزقه وفي عمره وفي صحته وفي سائر عمله، وندعوه سبحانه أن يبارك لجميع المؤمنين والمحسنين في ذلك، وأن يبارك جهود الجميع، ويجعل أعمالنا صالحة خالصة لله تعالى، وأن يثيبنا ويدخر لنا عنده الأجر والجزاء الأوفى.

وأسأل الله العلي العظيم أن يشغل ألسنتنا بذكره، وأن يعمر قلوبنا بمحبته، وأن يجعلنا من الذاكرين ويحفظنا أن نكون من الغافلين؛ كما أسأله سبحانه أن ينور بكتابه الكريم أبصارنا، وأن يطلق به ألسنتنا، وأن يفرج به كرباتنا، وأن يشرح به صدورنا، وأن يستعمل به أبداننا، وأن يحفظ به جوارحنا، وأن يهدينا به إلى رشدنا، وأن يلهمنا به صوابنا؛ له الحمد في الأولى والآخرة، وهو الحكيم العليم.

وحرر بالدار البيضاء،

مهل صفر الخير 1423 الموافق 14 أبريل 2002

لا تكن من الغافلين

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ



فضيلة الذكر وأهميته.

اعلم أيها المسلمُ المؤمنُ رعاك الله أنك لم تُخلَق عبثاً، ولن تُترك سُدىً، وأن لك معاداً يجمعك الله عز وجل فيه للحُكم والفَصل؛ ألا إنما يكون الأمانُ غداً لمن خاف مقام ربه ونهى النفسَ عن الهوى، وألزم نفسَه العبادة والذِّكرَ والتضرعَ والدعاءَ والطاعةَ والتقوى، وباع القليلَ الزائلَ العاجلَ بالكثير الدائمِ الآجلِ، واشترى سعادةَ الآخرةِ الباقيةِ بالشقاوة الدنيوية الفانية؛ وخاب وشقي عبدٌ أخرجه عِصيانُه وغفلتهُ وسوءُ عمله من رحمة الله التي وسِعَت الكونَ والكائنات، وجنّته التي عَرضُها الأرض والسماوات!

أيها الإنسانُ الغافلُ، ألا ترى أنك من أصلاب الهالكين، وأنْ سيَخلُفُك فيما بعد مَن يَخلُق الله من الأجيال اللاحقين! كم شيَّعتَ من الذين غَدَوا أو راحوا إلى الله ممن قضَوا نحْبَهم أَمامك أو بقُربك، فانقطعَت آمالُهم وفارقوا أحبابَهم وتركوا ديارَهم وأموالَهم ووُضِعوا في التراب على جُنوبهم وظهورهم، وواجهوا الحسابَ لَمّا انهال الترابُ على أجسادهم! فأين الآباءُ والأجداد؟ وأين المتَغَطرِسون الشِّداد؟ وأين أزمنةُ الرخاء التي اغْتَرَّ بها الأوائلُ والأواخر؟ أو آناءُ الشدة التي عاناها الأصاغِرُ والأكابر؟ وما فائدة القُصور والمباني التي شادَها وترَكها هؤلاء وأولئك؟ إذا لم تكن بالنّيات الخالصة لرَبّ العالمين، وأُريدَ بها وجهُ الله الحليم الكريم، وقُصِدَ بها إلى نشر عِلمٍ نافع، أو إجراءِ مصلحةٍ عامة يَجِدُ ثوابَها عند الله في الآجِل، أو تربيةِ الأجيال النافعة السائرةِ

على الصراط المستقيم "**صِراطِ اللهِ الذي لَهُ ما في السمواتِ وما في الأرض. ألا إلى اللهِ تَصيرُ الأمورُ**"؟!(1) ألا وإن جميعَ الأعمالِ التي يمكن أن تأتيَها أيها الإنسانُ إنما شُرِعَت إقامةً لذكر الله عز وجل، ففيمَ الغفلةُ عن المُنعم المتفضّلِ عليك؟!

إن المقصودَ بالأعمال التي خُلق لها الإنسان كلِّها إنما هو تحصيلُ ذِكْرِ الخالقِ الجليلِ سبحانه وتعالى:

- فالصلاةُ إنما شُرعَت وأُمِر بها لتحقيق ذكر العبد لخالقه: "**إنَّنِي أنا اللهُ لا إله إلا أنا فاعبُدني وأقِمِ الصلاةَ لِذكري**"(2)؛ وسواءٌ كان المعنى هو الأمرُ بإقامة الصلاة لِيَذكُرَ المصلي ربَّه في صلاته وبها، أو كان المعنى هو الأمرُ بها لِيَذكرَ اللهُ عز وجل عبدَه الطائعَ المصلي، فإن عبادة الصلاة تُذَكِّر العابدَ بالمعبود فيخافُه ويخشاه وينتهي عن معصيته ويجتهدُ في طاعته، وتُذَكِّرُ المعبودَ جل عُلاه أيضاً بعبده "**فَاذكُروني أذكُرْكُم**"(3) فيُنعمُ عليه ويحميه ويحفَظُه ويُحسنُ إليه ويَجْزيه الجزاءَ الأوفى بفضله وكرمه. "**أتْلُ ما أوحِيَ إليكَ من الكتابِ وأقِمِ الصلاةَ. إن الصلاةَ تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ. ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ. واللهُ يَعلَمُ ما تَصنعون**"(4)، والمعنى، واللهُ تعالى أعلم، كما روي عن ابن عباس وسَلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهم: أنكم في الصلاة تَذكرون اللهَ فتؤَثِّرُ فيكم الصلاةُ والذكرُ تأثيراً إيجابياً تُحفَظون به من الفواحش والمنكرات ويَقوَى إيمانُكم واعتصامُكم بالتقوى، واللهُ ذاكرُكم إذا ذكرتموه،

---

(1) سورة الشورى 50/42. (2) سورة طه 13/20

(3) سورة البقرة 151/2 (4) سورة العنكبوت 45/29

ولَذكرُ الله تعالى إياكم أكبرُ من ذكركم إياه. وقيل معناه إنَّ ذِكرَكم لله أكبرُ من كل شيءٍ: قيل لسَلمان رضي الله عنه: أيُّ الأعمال أفضل؟ فقال: أمَا تقرأُ في القرآن: "**وَلَذِكْرُ** اللهِ **أَكْبَرُ**"!؛ وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه سُئِلَ: أيُّ العملِ أفضلُ؟ قال: ذِكرُ الله أكبرُ. وفي حديث أبي الدرداءِ رضي الله عنه "**ألا أنَبِّئُكمْ بخيرِ أعمالِكُمْ وأَزكاها عندَ مَليكِكُمْ وأرفَعِها في دَرجاتكم وخيرٍ لكم مِن إنفاق الذهَب والورِق وخيرٍ لكم من أن تلقَوْا عدوَّكُم فتَضرِبوا أعناقَهم ويَضرِبوا أعناقَكم؟ ذِكرُ الله**!(5)؛ وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الصحيح أن معنى الآية أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان أحدُهما أعظمُ من الآخَرِ: فإنها أولاً تَنهَى عن الفَحشاء والمنكر، وهي ثانياً مشتملةٌ على ذكر الله تعالى؛ ولَمَا فيها مِن ذكر الله أعظمُ من نَهْيِها عن الفحشاء والمنكر! وفي السنن عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: "**إنما جُعِل الطوافُ بالبيت وبين الصَّفا والْمَرْوةِ ورَمْيُ الجِمار لإقامة ذكر الله تعالى**"(6)

إن كثرةَ ذكرِ الله سبحانه وتعالى أمانٌ من النفاق، وقلة ذكر الله عز وجل من علامة النفاق، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا مذبذَبين، ومَن أكثرَ مِن ذكر الله بَرِئَ من النفاق، ولذلك حذَّر الحليمُ الكريمُ سبحانه وتعالى عبادَه من فتنة المنافقين الذين يَغفُلون عن ذكر الله فيقَعُون في النفاق، والله عز وجل أكرمُ من أن يَبتلي قلباً ذاكرا بالنفاق، وإنما النفاق للقلوب الغافلةِ عن ذكرالله

---

(5) رواه البخاري ومسلم وابن ماجة والنسائي: انظر كتر العمال1/416ح1767، والوابل الصيب70

(6) رواه أبوداود والترمذي، وقال:حديث حسن صحيح. وانظر الوابل الصيب70.

الواقعةِ في الخسران والعياذُ بالله: "**يا أيها الذين آمنوا لا تُلهِكُمْ أموالُكُمْ ولا أولادُكُمْ عن ذِكرِ الله، ومَن يفعلْ ذلك فأولئك هُمُ الخاسرون**"(7). فما أسعدَ المؤمنَ الذي يُداوِمُ على ذكر الله في كل حالٍ: قائماً وقاعداً ومضطجعاً على جَنْبِه، في البيت وفي الطريق وفي الحَضَرِ وفي السفر، في كلِّ البِقاع والأمْكِنَة، وفي كل الظروف والأزمنة؛ إنه بذلك يكثِّر الشهودَ على ذكره وإيمانه يومَ القيامة، فإن الدارَ والمسجدَ والبقاعَ والجبالَ والأرضَ تَشْهَدُ للذاكر عندَ الله يَوْمَ الحِساب: "**إذا زُلْزِلتِ الأرضُ زِلزالَها وأخْرَجَتِ الأرضُ أثقالَها وقال الإنسانُ ما لها يومَئِذٍ تُحَدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربَّكَ أوْحى لها**"(8). وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية"**يومئذ تحدث أخبارها**" فقال: "**أتدْرونَ ما أخبارُها؟**" **قالوا: اللهُ ورسولُه أَعْلَمُ! قال:** "**فإن أخبارَها أنْ تَشهَدَ على كُلِّ عَبْدٍ أو أَمَةٍ بما عمِلَ على ظَهْرِها، تقول: عَمِلَ يومَ كذا كذا**"(9)

والذاكرُ لله عز وجل في سائر البِقاع مُكَثِّرٌ شُهودَه، ولَعلَّهُمْ أو أكثرَهم أن يَقبَلوه يومَ القيامة، يومَ يَقومُ الأشهادُ لِرَبِّ العالمين، وتؤدَّى الشهاداتُ لله مِنَ الشاهدين مُنقادينَ طائعين صادقين، فيَفْرَحُ الذاكرُ المُفلِحُ ويَغتَبِطُ بِشهاداتهم، ويَشْقى الغافِلُ الخاسرُ ويَتَحَسَّرُ ويَنْدَمُ ذاهِلاً بِشهاداتهم.

---

(7) سورة المنافقون9/63

(8) سورة الزلزلة99/1-5

(9) رواه الترمذي وقال:حديث حسن صحيح

فيا أيها الإنسانُ اِختَرْ لِلسانِكَ ونَفْسِك وقَلْبِك إحدى الخِصْلَتين، واسْلُكْ بِهِنَّ إحدى الخطَّتين:

– فإن اللسانَ إما ذاكرٌ، وإما لاغٍ، ولا بُد من أحَدِهِما، فإن لم تَشْغَلْهُ بالذِّكر شَغَلَكَ باللَّغْو؛

– وإن الـــنفس إما مُشتَغِلةٌ بالحق وإما مشتغلة بالباطل، فإن لم تَشْغَلْها بالحق شغَلَتْكَ بالباطل؛

– وإن القلب إما أن تَسْكُنَه محبةُ الله وإما أن تسكنه محبةُ المخلوقين، فإن لم تَسْكُنْه محبةُ الله عز وجل سَكَنته محبة المخلوقين:

"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مع الذين يَدْعون ربَّهم بالغَدَاة والعَشِيِّ يُريدون وجهَه، ولا تَعْدُ عيناك عنهم تُريدُ زِينةَ الحياةِ الدنيا، ولا تُطِعْ مَن أغْفَلْنا قَلْبه عن ذِكرِنا واتَّبعَ هَواه وكان أمرُه فُرُطاً. وقلِ الحقُّ من ربِّكم فمَن شاء فلْيومِنْ ومَن شاء فلْيَكْفُرْ. إنا أعْتَدْنا للظالمينَ ناراً أحاطَ بهم سُرادِقُها، وإن يَسْتَغيثوا يغُاثوا بماءٍ كالمُهْلِ يَشْوي الوُجوهَ. بِيسَ الشرابُ،وساءَت مُرْتَفَقاً"(10).

"يا أيُّها الذين آمنوا اذكُروا الله ذِكْراً كثيراً وسَبِّحوه بُكْرَةً وأصيلاً. هو الذي يُصَلِّي عليكم وملائكتُه لِيُخرِجَكُم من الظُّلماتِ إلى النور. وكان بالمؤمنين رحيماً. تحِيتُهُمْ يومَ يَلْقَوْنَهُ سلامٌ. وَأعَدَّ لهُمْ أجْراً كريماً"(11).

---

(10)سورة الكهف 18/28-31

(11) سورة الأحزاب 33/41-44

تناولَ هذا الموضوعَ أحدُ العُلَماءِ مِنْ سَلَفِ هذه الأمةِ الإسلامية، وابنٌ مِن أبناءِ المغربِ الأَمينِ، هو الإمامُ الواعظُ مُحْيِي السُّنَّة مُحاربُ البِدْعَةِ أبو عبدِ اللهِ محمدٌ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، الْمُوَقِّتُ بالحَضْرةِ المراكشيـــــــة(1) (1312-1369: 1894-1949) وهوصاحبُ المؤلفات الْجَليلة، كـ"السَّعادَةِ الْأَبَدِيَّةِ في التَّعْرِيفِ بمَشاهيرِ الْحَضْرَةِ الْمُرَّاكُشِيَّةِ"، و"الرِّحلةِ المراكشية، أَوْ مِرْآةُ الْمَساوِئِ الْوَقْتِيةِ، أَو السَّيْفُ الْمَسْلولُ على الْمُعْرِضِ عن سُنَّةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم " ذكرت للكتاب هذه الأسماء الثلاثة، وغيرها.

نَظَرَ هذا الرجلُ حَوْلَه في المجتمع، ولاحَظَ غَرَقَ البعض من الناس في البِدَعِ والضلالات أو الْمُحْدَثَاتِ والْمُنكَراتِ، فتصَدّى لذلك وجَرَّدَ لِسانَه وقَلَمَهُ للذَّوْدِ عن حِياضِ السُّنَّةِ، لأنه عَلِمَ أنَّ مِن أسبابِ الفَوْزِ والفَلاحِ وارتيادِ ذُرَى الْمَجْدِ والصَّلاحِ: المحافظةَ على الدين الذي ارْتَضاهُ رَبُّ العالمين، وإحياءَ سُنَّةِ سَيِّدِ الأوَّلين والآخرين؛ وأن مِن عَوامِلِ الهَلاكِ والخُسْرانِ والتَّرَدّي في بُحْبوحَةِ الخَسْفِ والهَوانِ: تَرْكَ العَمَلِ بالسُّنَّةِ واتِّباعَ البِدْعَةِ والضَّلالة.

وقَبْلَ زَمَنِ ابنِ الموقِّتِ كانت الْبِدَعُ والضلالاتُ قد كَثُرَتْ في البلادِ الإسلامية وانتَشَرَت، بعد أن هداها الرسولُ الأمينُ ﷺ إلى المحجَّةِ البَيْضاءِ ورَسَمَ لها الطريقَ اللاّحِبَ، وصَرَّح بأنه تَرَكَ فيها ما إن تمسَّكَتْ به لن تَضِلَّ بعدَهُ أبداً: كتابَ اللهِ وسُنَّةَ رسولِه؛ ولكنْ باعَدَ الزمَنُ بين الناسِ وبين السُّنَّة، وجَرَّهُمُ الحياةُ إلى مَزالقِ البِدْعَةِ؛ فيَسَّرَ اللهُ عز وجل بحكمته ورحمته لهذه الأمة

---

(1) ابن الموقت المراكشي، ترجمته في مقدمة كتابه "الرحلة المراكشية".

عُلماءً جَهابذَةً وحُكَماءً عارِفين بأحوالِ القُلوب خُبَراء بأدوائها؛ تَصدَّوْا بأمر الله وتَقْديرِه وحِكْمَته للمَناكر المُنْتَشرةِ والعوائد الفاسدةِ، واستَهدَفوا إعلاءَ شأنَ السُّنَّةِ وردَّ ما خالَفها، عَمَلاً بقول الرسولِ الهادي الأمينﷺ **"مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنا هَذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ"**(2).مِن هؤلاء شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيْميــة (661-728: 1263-1328) صاحبُ الفتاوى المشهورة، والمؤلفاتِ القَيِّمَــة كـ" الصراط المستقيم"، و"مِنهاج السُّنَّة"، و"الفُرقان بين أولياء الله وأولياءِ الشيطان" وغيرِها من المؤلفات التي كان لها الأثرُ الكبيرُ في الدعوة إلى السنة والتحذيرِ مِنَ البِدْعَة.

ومِنهم مُعاصِرُه الذي ظَهَرَ في المغرب يحملُ لِواءَ محاربةِ البِدَعِ الْمُحْدَثَة، والدعوةِ إلى الْتِزامِ نَهْجِ الكتاب والسنةِ: الإمامُ أبو عبدِ الله محمدٌ بنُ محمدٍ بنِ الحاج العَبْدَرِي الفاسي (650-737: 1250-1337) صاحبُ الكتاب القيم "الْمَدْخَلُ إلى تَنْمِيةِ الأَعْمالِ بِتَحْسينِ النِّياتِ والتَّنْبيهِ على كثيرٍ مِنَ البِدَعِ الْمُحْدَثَةِ والعَوائد الْمُنْتَحلَة".

ثم يأتي بَعدَ هؤلاءِ الجَهابذَة بقُرونٍ، شيخ الحَضْرَة المراكشية ابنُ الموقِّت بكتاب جَمعَ الكثيرَ من الحوادثِ والبِدَع والزَّوايا الْوَقْتية، وكَشَفَ ما استَتَرَ مِن أَمْرِ عامَّة الجَهَلَة المضَلِّلينَ، وتَتَبَّعَ نصائحَ العلماء العارفين بالشرعِ القَويمِ، العاملين بسُنَّة النبيِّ الأمين. يوَجِّهُ النِّداءَ بالدعوة إلى التمسُّك بأهداب الدينِ والزَّجْرِ عنِ اتِّباعِ المقَلِّدينِ الْمُبْتَدعينَ وغُرَباءِ الفكرِ الْمُستَلَبينَ، ويَنْهَى العامَّةَ عنِ اتِّباعِ الجُهَلاءِ الْمُخَرِّفينَ، ويُرشِدُهم إلى ما فيه صَلاحُهُم في الدُّنيا وفَوْزُهم في الآخرةِ عِندَ ربِّ العالمين.

---

(2) أخرجه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

نَنْتقي من هذا الكتاب نَصّاً يُعالِجُ فَضْلَ الاعتناء بكَلِمة الشهادة وتَصحيحِ النُّطقِ بها، ويُعطي القواعدَ الأساسيةَ لذلك، ويُنَبِّهُ بِعلْمٍ إلى مَخارجِ حُروفِها، ويُحذِّرُ بغيرَةٍ من سوءِ النُّطْقِ بها. فلَعلَّه لاحَظَ أن كثيراً من المؤَذّنين يُسيئون النُّطقَ بكَلِمَةِ التَّشْريفِ وشَهادَةِ التَّوحيدِ، فأثارَ الموضوعَ وحَدَّد قَصْدَه منه في ثلاثَة أَهداف: الأَوَّلُ بَيانُ فضلِ الاعتناءِ بكَلِمة الشهادة، والثاني التبركُ بخدمَتها، والثالثُ تحذيرُ أهلها مما ابْتُدِعَ فيها.

ولَو قَدَّرَ اللهُ العزيزُ الحكيمُ لابنِ الموقِّت أن تَسْمَعَ أُذُناهُ أَذانَ هؤلاء المؤذِّنين اليومَ لصارت لحديثِه في هذا الموضوعِ شُجونٌ وَشُجونٌ، ولأَسْهَبَ في النَّكيرِ عليهِم، وتَصويبِ ألسِنَتِهم! ولْنَتْرُكِ الحديثَ عن النَّصِّ إلى قِراءَةِ النص.

يقول ابنُ الموقتِ في كتاب "الرحلة المراكشية"(3):

"وَأَحْبَبْتُ أن أَزيدَك على هذا الجوابِ بِبَيان فَضْلِها، اعْتِناءً بهذه الكَلِمة الشريفة، وتَبَرُّكاً بخدْمَتِها، وتحذيراً لأَهْلِها عَمّا ابْتُدِعَ فيها:

فاعْلَم أنه ﷺ قال: **"أَفْضَلُ ما قُلْتُه أنا والنّبيون مِن قَبْلي : لا إله إلا الله"**، وهو ﷺ أفصَحُ الفُصَحاءِ؛ فَلْتَقُلْها كما كان نبيُّنا ﷺ يقولُها بلسانه الفصيح، وذلك بمعرفة صِفَةِ النطق بها ومخارج حروفها، فيتحققُ لك بالتوحيد كَمالُ التسديد. واعلم أن جميعَ حُروفِ كَلمة التَّشْريفِ مُرقّقةٌ فلا يُفَخَّمُ منها إلا لامُ لفظِ الجَلالة فيها. وأما مخارجُ حروفِها فقد انْحَصَرَتْ حروفُها في أربعة: اللام والألف والهمزة والهاء:

---

(3) طبعة أولى: دار المعرفة(د.ت.)1/138-139، طب(3)مط.النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، يناير2000: 1/177-178

فمَخرَجُ اللامِ مِن طَرَفِ اللسان يُوضَعُ في أُصولِ الثَّنايا العلْيا؛ ومَخرَجُ الألِف من أَصْلِ الجَوْفِ خارجة من محض النفس؛ ومخرج الهمزة والهاء كلاهما من الحَلْق، غَيْرَ أن الهمزةَ أشَدُّ مِنَ الهاء وأَيْسَرُ.

ونهى العلماءُ عنِ السُّكوتِ على "لا إله"، لِما فيه منْ إيهام التَّعْطيلِ، بل يَصِلُهُ بالاستثناء والإثْباتِ بقوْله "إلا الله" بسُرعةٍ خلافاً لما سمعْتُه من بعض هؤلاء الذين يَنْتَسبونَ إلى الصّوفِيةِ، وما هم منهم ولكنهم قَوْمٌ لا يَفقَهون، بل ربما انقسَموا فِرْقَتَيْنِ: فِرقة تقول"لا إله"، والأُخْرى تقول"إلا الله"! ويتواجَدون في ذلك ويَسْتَفزُّهم الشيطانُ. ولْيُحْذَرْ مما يَقَعُ لبعضهم من تفخيم أداةِ النَّفْي، وربما مالَ بأَلِفها لجهة الشَّفَتَيْن فتَصيرُ كالواو، ولجهَة وَسَطِ اللسان وما فوْقَه فتصير كالياء، أو يُبْدِلُ همزةَ "إله" ياءً، أو يُشْبِعُ الهمزةَ فتَتولَّدُ منها ياءٌ، أو يَزيدُ في أَلف "الله" على المَدِّ الطبيعي، أو يَسْكُتُ هناك سَكْتَةً، أو يُشبِعُ همزةَ "إلا" فتتولَّدُ منها ياءٌ، أو يُثْبتُ أَلفَها فإنَّه لَحْنٌ، بل يجبُ حَذْفُ الألِفِ الأخيرِ لالْتِقاءِ الساكنَيْن. وهؤلاء الجَهَلَةُ يُثْبتونها ويَمُدّونها ويَتَفنَّنون في مَدِّها، وبعضُهم يَمُدّ هاءَ "إله" فيَتولَّدُ من إشباعِها أَلِفٌ، بل سَمعتُ بعضَهم يُثْبِت همزَةَ "الله" ويَمُدُّها حتى تصيرَ كالاِسْتِفهام! وكلُّ هذا مُخالفٌ لما نَطَق به رسولُ اللهﷺ وأَمر به.

إذا أَحطْتَ بهذا خبَراً ظهَر لك أن جُموعَ هؤلاء المنتسبين للطريق إذا كانت مَعْمورَةً بالأذكارِ المَمْزوجَةِ بالسَّماعِ على حسَب الأوْضاعِ الشِّعْرية التي تَقْتَضي الخَلَلَ في الأذكار ولا بد، لَيْسَت على شيءٍ، بل كلُّها مَناكِرُ وبِدَعٌ يَأْباها الشَّرْعُ الْمُطاعُ. فاعْلَمْ هذا واعمَل به تَسْلَم بحَوْلِ الله".

الدعاء بأسماء الله الحسنى :

قال سبحانه وتعالى: "**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ، أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**"(1). وقال عز وجل: "**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**"(2)، أي تضرعوا إلى ربكم بأسمائه وصفاته، طلبا للاستشفاء والفرج:

- فإذا حصل للمسلم مكروهٌ يقولُ: ياباسطُ اصْرِفْ عَنِّي ما أنا فيه؛
- وإذا أَصابَه مَرَضٌ يقولُ: ياشافِي اشْفِنِي، أو يقولُ: اللَّهُمَّ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلاَّ شفاؤُكَ، أَسأَلُكَ شفاءً لا يُغادرُ سَقَماً ولا يُعْقِبُ أَلَماً.
- وإذا ضَعُفَ يقولُ: ياقوِيُّ يامُعينُ قَوِّنِي وَأَعِنِّي.
- وإذا اقْتَرَفَ مَعْصيَةً يقولُ: ياتَوّابُ تُبْ عَلَيَّ؛
- وإذا تاهَ في ضَلالٍ يَقولُ: ياهادي اهْدِني.
- وإذا أَذْنَبَ أو شَعُرَ بالتَّقْصيرِ، والإنْسانُ مَعْدِنُ النَّقْصِ والتَّقْصيرِ، يقولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظيمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ عَظيمٍ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الْعُظْمَى إِلاَّ اللهُ الْعَظِيمُ. أو يَقولُ: اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِن ذُنوبي وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدي مِن عَمَلي. أو يَسْتَغْفِرُ بالصِّيغَة الَّتي عَلَّمَنا إِيَّاها رسولُ الله ﷺ في قوله: "**سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أَنْ تَقولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَني وأَنا عَبْدُكَ وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أَبوءُ لَك بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبوءُ بِذَنْبي فَاغْفِرْ لي فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إِلا أَنْتَ**"(3).

---

(1) سورة الإسراء110/17

(2) سورة الأعراف180/7

(3) رواه البخاري، والنسائي، والترمذي؛ عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً، مَنْ أَحْصَاها دَخَلَ الْجَنَّةَ**". وفي رواية: "**للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً: مائَةٌ إِلا واحِداً لا يَحْفَظُها أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**"(4)، ومعنى أحصاها: عَدَّها، وحَفِظَها، ووَعاها، ودَعا بِها، وواظَبَ على تِلاوَتِها، وتَخَلَّقَ بمعانيها.

فاجْتَهِدْ أيها المسلمُ المؤمنُ بعدَ أَنْ تَسْتَوْعِبَ هذه الصفات الْعَلِيَّة في أن تُوَاظِبَ على تِلاوَتِها وتَدْعو بها وتَتَخَلَّقَ بمعانيها وتَتَحَلّى منها بِكُلِّ صفة يمكنُ لِلْبَشَرِ أن يَتَّصفوا بها كالكَرَمِ، والحِلْمِ والْوِدِّ والرَّحْمَةِ والْحِكْمَةِ والْعَدْلِ والشُّكرِ والبِرِّ والعَفْوِ والنَّفْعِ والصَّبْرِ والرُّشْدِ .. ويروى في الأثر : تَخَلَّقوا بِأَخْلاقِ الله .

---

(4) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم

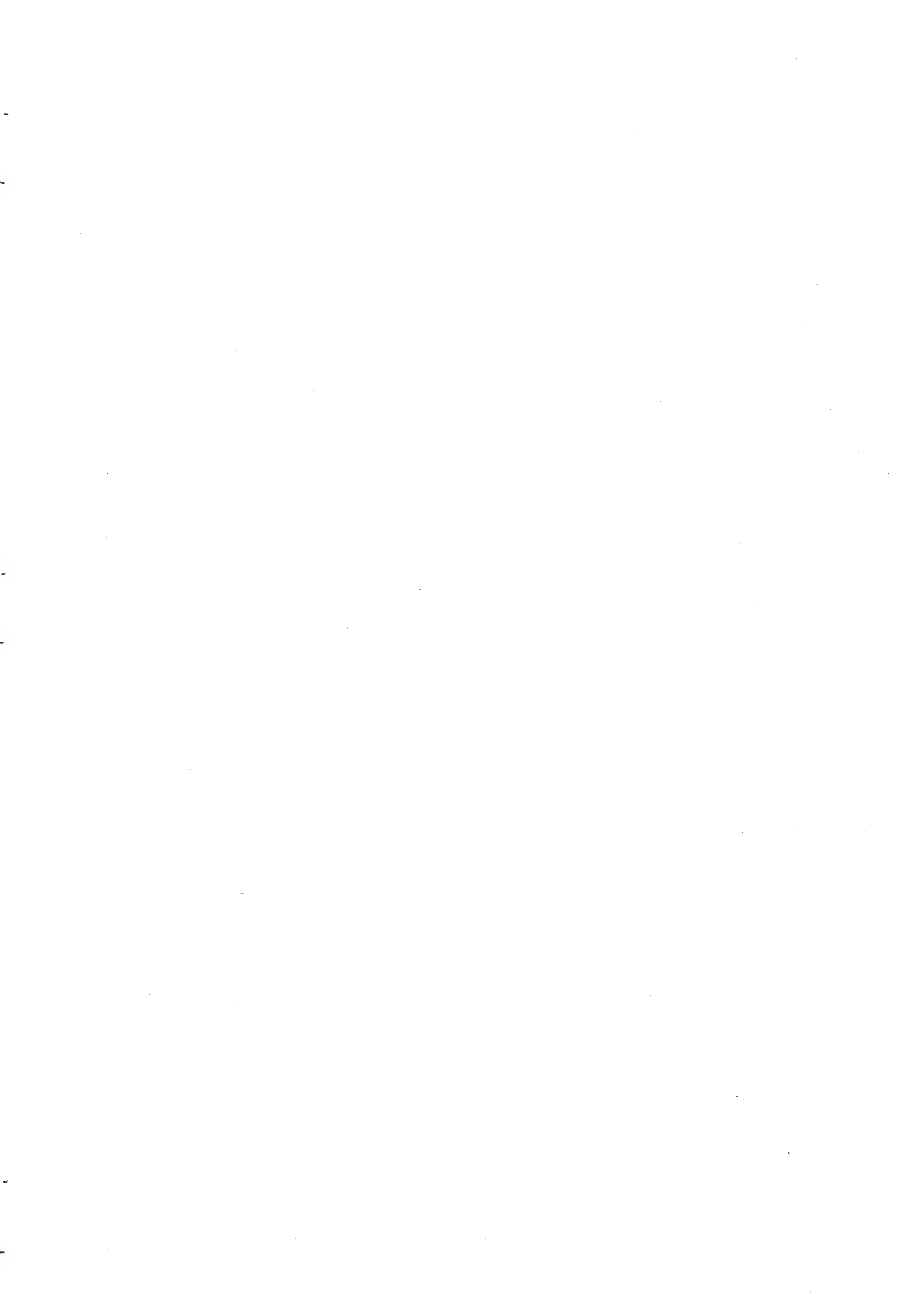
أسماء الله الحسنى

هــو **الله** الذي لا إله إلا هو:

الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعال، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور.

"ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير" [سورة الشورى 42/11]

القرآن الكريم
أفضل الذكر



القرآن الكريم أفضلُ الذكر وأحسنُ الحديث: "اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كتاباً مُتشابِهاً مَثانِيَ، تَقْشَعِرُّ مِنه جُلودُ الذين يَخشَوْن ربَّهُم، ثم تَلينُ جلودُهمْ وقُلوبُهمْ إلى ذِكرِ الله، ذلكَ هُدَى الله يَهدي به مَن يشاء، ومن يُضْلِلِ الله فما له مِن هادٍ"(1). وفي تَعَلُّمه وتَعليمه فَضلٌ كبير، ولأهله والمُشتَغلين به ثَوابٌ من الله جزيلٌ وأَجرٌ منه كَبيرٌ، والإقبالُ عليه نَجاةٌ وسعادةٌ وزِيادَةٌ، وحِفْظُه ومُدارستُه نِعمةٌ من الله ومِنَّة وهدايةُ، ف"خَيْرُكم مَن تَعَلَّمَ القرآنَ وعَلَّمَه"(2)، و"مَن قَرأَ القرآنَ فَلَهُ بكلِّ حَرْف عَشْرُ حَسنات"(3)، "وما اجتمعَ قَوْمٌ في بَيْت من بُيوت الله يَتْلون كتابَ الله ويَتَدارسونه بَينهم إلا نَزلتْ عليهم السكينةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحمةُ، وحَفَّتْ بهم الملائكة، وذَكَرَهُمُ الله فيمن عندَه"(4)

والقرآنُ كتابُ الله، هو المَخْرَجُ الوحيدُ من الفِتَن، وهو الفَصْلُ في كل الأمور، وهو حَبلُ الله المتينُ، وهو عَيْنُ الصِّدقِ وذاتُ الحق، وهو سبيل الهداية. قال الحبيب الشفيع ﷺ: "أَلا إنها ستَكون فِتْنَةٌ" !! قيل: ما المخرَجُ منها يا رسولَ الله؟ قال: "كتابُ الله، فيه نَبأُ ما قَبلَكم، وخَبَرُ ما

---

(1) سورة الزمر22/39 .

(2) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن

(3) رواه الترمذي والحاكم

(4) رواه مسلم وأبو داود

بَعدَكم، وحُكْمُ ما بينَكم؛ وهو الفَصْلُ ليس بالهَزْل ، مَن تَرَكه مِن جَبّـــارٍ قَصَمَه الله، ومَنِ ابتغَى الهُدى في غيره أَضَلَّه الله؛ وهو حَبْلُ الله المتينُ، وهو الذِّكْرُ الحكيم، وهو الصراط المستقيم؛ هو الذي لا تَزيغُ به الأهواءُ، ولا تَلتَبسُ به الألسنةُ،ولا يَشبَعُ منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كَثرةِ الرَّدِّ [أي: لا يبلى ولا يمل وإن أكثر المرء من ترداده وتكراره وقراءته ما ردده المرء وكرره وقرأه]، ولا تَنقَضي عَجائبُهُ؛ هو الذي لم تَنْتَه الجنُّ إذ سَمِعَتْهُ حتى قالوا: إنا سمِعْنا قرآناً عجباً يَهدي إلى الرُّشْدِ. مَن قال به صَدَقَ، ومن حَكَمَ به عَدَلَ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيمٍ"(5) ؛ وصدَقَ اللهُ العظيمُ إذ يقول في كتابه الحكيم: "لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبَلٍ لرأيْتَهُ خاشعاً متصدِّعاً من خَشْيَةِ الله، وتلك الأمثالُ نَضرِبُها للناس لعلَّهم يتفكَّرون" .(6)

---

(5) رواه الترمذي والطبري والحاكم.

(6) سورة الحشر21/59.

من فضائل القرآن الكريم

وبعض سوره وآياته

➢ *في القرآن الكريم :*

قال تعالى: "إنَّ هذا القُرآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ ويُبَشِّرُ المؤمِنينَ الذينَ يَعْمَلونَ الصالِحاتِ أنَّ لهُمْ أَجْراً كَبيراً"(7)؛ وقال سبحانه: "وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلمؤمِنينَ، وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إلاّ خَساراً"(8)؛ وقال جل شأنه: "وإنّه لَكِتابٌ عَزيزٌ لا يأتيهِ الباطِلُ مِن بَيْنِ يدَيهِ ولا مِن خَلْفِهِ، تَنْزيلٌ مِن حَكيمٍ حَميدٍ. ما يُقالُ لكَ إلا ما قد قيلَ للرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ، إن ربَّكَ لذو مَغْفِرَةٍ وَذو عِقابٍ أليمٍ. ولو جعلناه قُرآناً أعْجَمياً لقالوا لَوْلا فُصِّلَتْ آياتُه، أأعْجَمِيٌّ وَعَرَبِي، قُلْ هُوَ للذين آمنوا هُدىً وشِفاءٌ، والذين لا يؤمنون في آذانِهِمْ وَقْرٌ وهُوَ عليهِمْ عَمىً، أولئكَ يُنادَوْنَ مِن مَكانٍ بَعيدٍ"(9)

وقال رسولُ الله ﷺ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرآنَ وَعَلَّمَهُ"(10)؛ وقال عليه الصلاة والسلام: "اقْرأوا القرآنَ، فإنَّه يَأْتي يومَ القيامة شَفيعاً لأَصحابه"(11)؛ وقال ﷺ: "مَن قَرأَ حرفاً مِن كتابِ الله فَلَه حسَنةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها، لا أقول (الم) حَرْف، ولكن : أَلف حَرف، ولام حرف، وميم حرف"(12)؛ وقال ﷺ: "إِنَّ الذي لَيْسَ في جَوْفِه شيْءٌ مِنَ القرآنِ كالْبَيْتِ الْخَرِبِ"(13) .

---

(7)سورة الإسراء 9/17 (8) سورة الإسراء82/17 (9) سورة فصلت40/41-43

(10) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(11)رواه مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(12)رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(13)رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: **"اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابنُ عبدك وابنُ أَمَتك، ناصيَتي بيَدك، ماضٍ فِيَ حُكْمُك، عَدْلٌ فِيَ قضاؤُك؛ أَسْأَلُك بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَك سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ أو أَنْزَلْتَهُ في كتابك، أو عَلَّمْتَه أَحداً من خَلْقك أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الغَيْبِ عِندَك: أن تَجعَلَ القرآنَ الكريمَ رَبيعَ قَلْبي، ونُورَ بَصَري، وجَلاءَ حُزْني وذَهابَ هَمّي"**(14)، وقال ﷺ: **"ما أَصابَ عَبْداً هَمٌّ ولا حَزَنٌ فَدعا بهذا الدُّعاءِ إلاَّ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وحُزْنَه، وأَبْدَلَهُ مَكانَه فَرَجاً"**(15).

➢ *في سورتي البقرة ، وآل عمران :*

عن معقل بن يَسارٍ قال: **"البقَرةُ سَنامُ القرآنِ وذِرْوتُه، نَزَلَ مع كلِّ آيةٍ منها ثمانون مَلَكاً، واستُخرِجَت "اللهُ لا إلهَ إلا هو، الحيُّ القيومُ" مِن تَحْتِ العَرْش فَوُصِلت بها، أو فَوُصِلَتْ بسورة البقرة؛ و(يس) قَلْبُ القرآن"**(16)، وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **"مَن قَرأ بالآيتين مِن آخرِ سورة البقرة في لَيْلَةٍ كَفَتاهُ"**(17)، قيل: كفتاه عن المَكروه تلك الليلةَ، وقيل غيرُ ذلك. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"اِقْرَأوا الزَّهْراوَيْن: البقرة وآل عمران"**(18)

---

(14) رواه ابن السني، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ وينظر في "الأذكار" للنووي ص109

(15) أخرجه الإمام أحمد، وابن حبان، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(16) ابن كثير في تفسيره.

(17) رواه البخاري ومسلم

(18) رواه الإمام مسلم

➢ *في آية الكرسي :*[ويسميها بعضهم آيات العرش]

يقول الله عز وجل في سورة البقرة 253/2: "**اللهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ ، الحيُّ القَيُّومُ ، لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ،لَهُ ما في السمواتِ وما في الارضِ ، مَن ذا الذي يَشفَعُ عِندَه إلاَّ بإذْنِه ، يَعلَمُ ما بَيْنَ أيْديهِمْ وما خَلفَهُمْ ، ولا يُحيطون بِشَيْءٍ مِن عِلمِه إلاَّ بما شاء، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السمواتِ والارضِ، ولا يَؤُودُهُ حِفظُهما وهُوَ العَلِيُّ العظيمُ**"

هذه آيةٌ أَنْزَلها اللهُ جَلَّ ذِكْرُه ، وجَعلَ ثَوابَها لِقارِئها عاجِلاً وآجلاً .. ولَها شأنٌ عَظيمٌ ، وقد صَحَّ الحديثُ عن رسولِ اللهِ ﷺ بأنها أفضلُ آيةٍ في كتابِ الله ..

ذَكرَ الإمامُ القُرطُبي في تفسيره: أن هذه آيةُ الكُرْسي، سيِّدَةُ آيِ القرآن، وأعظمُ آيةٍ، نزلَتْ لَيْلاً ودعا النبيُّ ﷺ زَيْداً فكتَبها، ولما نزلَتْ خرَّ كُلُّ صَنمٍ في الدنيا، وخرَّ كُلُّ مَلِكٍ في الدنيا، وسَقَطَت التيجانُ عن رُؤوسهم، وهَرَبَت الشياطينُ يَضرِبُ بَعضُهُم على بَعْضٍ إلى أن أَتَوْا إبليسَ فأَخبَروه بذلك فأمرهم أن يبحَثوا عن ذلك، فجاءوا إلى المدينة فبَلَغَهُم أن آيةَ الكُرْسي قد نَزلَت .

ورُوِيَ عن عُمرَ رضي الله عنه أنه صارعَ جِنِّياً فصَرعَهُ عُمَرُ، فقال له الجِنِّي: خَــلِّ عَــنِّي حَتى أُعَلِّمَك ما تَمْتَنِعونَ به مِنّا؛ فخَلّى عنه وسَأَلَه فقال : إنَّكُم تَمْتَنعونَ منا بآيَة الكُرْسِيِّ .

ورَوى الأئمةُ عن أُبيِّ بنِ كَعْبٍ قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ: "**يا أَبا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيةٍ من كِتابِ اللهِ مَعكَ أَعْظَمُ؟** "قال: **قلت: الله**

وَرَسولُه أَعلَمُ. قال: "يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟" قال: قلت: "اللهُ لا إلهَ إلاَّ هو، الحيُّ القيّومُ"، فضرب في صدري وقال: "ليَهْنكَ العلْمُ يا أبا المنذر، فوَالَّذي نَفْسي بِيَده إنَّ لِهذه الآية لَلساناً وشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلكَ عندَ ساق الْعَرْشِ" .

وعن أبي ذرٍّ رَضيَ الله عنه قال: قُلْتُ يا رسولَ الله، أَيُّ ما أُنْزِلَ علَيْك أَعْظَمُ؟ قال: " آيةُ الكُرسي: اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ الحيُّ القيومُ"، ثم قال:"يا أبا ذر، ما السماواتُ السبْعُ مع الكرسي إلا كحَلقَة مُلْقاة في أرضٍ فَلاةٍ، وفَضْلُ العَرْشِ على الكُرسي كفضلِ الفَلاة على الحَلْقة ".

وذكَر الإمامُ البخاري وغيرُه في فضلِ آية الكرسي عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: وَكَّلني رسولُ الله ﷺ بحفْظ زَكاة رَمَضانَ، فأتاني آتٍ فجعَلَ يَحْثُو منَ الطَّعامِ، فأَخَذْتُه وقلت: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رسول الله ﷺ ، قال: دَعْني فإني مُحتاجٌ ومَعي عِيالٌ ولي حاجَةٌ شديدةٌ، قال: فخَلَّيْتُ عَنه، فأَصْبَحتُ، فقال النبيُّ ﷺ:"يا أَبا هُرَيرةَ ما فَعَلَ أسيرُكَ الْبارِحَةَ؟ "قلتُ: يا رسولَ الله، شَكا حاجةً شديدةً وعِيالاً فرَحمْتُه وَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ. قال: "أَما إِنَّهُ قد كَذَبَكَ وسَيَعودُ" .. وعاد ثلاثَ مرّاتٍ يَحْصُلُ بينهما في كُلِّ مَرَّةٍ نفسُ الأَمْرِ ويقولُ له النبيُّ ﷺ نفسَ الكَلامِ .. وفي المرة الثالثة قال له: دَعْني أُعَلِّمْكَ كَلماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِها، قال أبو هريرة رضي الله عنه: وما هي؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فراشكَ فاقْرأْ آيةَ الكُرسي: "اللهُ لا إلهَ إلا هو الحيُّ القيومُ" حتى تَخْتِمَ الآيةَ، فإنَّكَ لن يَزالَ عليكَ منَ الله حافظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شَيْطانٌ حتى تُصْبِحَ؛ فخَلَّيْتُ سَبيلَه، فأصبحْتُ فقال لي رسولُ

الله ﷺ: " ما فعلَ أسيرُكَ البارحةَ؟" قلتُ يا رسولَ الله، زَعَمَ أنَّهُ يُعلِّمني كَلمات يَنْفَعُني اللهُ بها فخلَّيْتُ سبيلَهُ. قال: "ما هي؟ "قلت: قال لي: إذا أَوَيْتَ إلى فراشك فاقْرأْ آيةَ الكرسي مِن أَوَّلها حتى تَختمَ الآيةَ، وقال لي: لَن يزالَ عليكَ منَ الله حافظٌ، ولا يَقْرَبُكَ شيطانٌ حتى تُصبحَ. فقال النبيُّ ﷺ: "أَمَا إنَّهُ صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ؛ تَعْلَمُ مَن تُخاطبُ مِن ثلاث لَيالٍ يا أبا هريرة؟ " قلت: لا، قال: "ذاكَ شيطانٌ".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "سورةُ البقرة فيها آيـــةٌ سَـــيِّدَةُ آيِ القـــرآن،لا تُقرَأُ في بَيْتٍ فيه شيطانٌ إلا خَرجَ منه: آيةُ الكرسي". وفي روايةٍ: "لِكُلِّ شَيْءٍ سَنامٌ وسَنامُ القرآنِ سورةُ البقرة، وفيها آيةٌ هي سَيِّدَةُ آيِ القرآن: آيةُ الكرسي".

وقال ﷺ: "ما قُرِئَتْ هذه الآيةُ في دارٍ إلا اجْتَنَبَتها الشياطينُ ثلاثين يوماً ولا يَدْخُلُها ساحرٌ ولا ساحرةٌ أربعين لَيْلَةً؛ يا عَلِيُّ عَلِّمْها وَلَدَكَ وَأَهْلَك وجيرانَك، فما نَزَلَتْ آيةٌ أعظمُ منها".

وعن عَليٍّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ على أَعْوادِ المِنْبَرِ وهو يقول: "مَنْ قَرَأَ آيةَ الكُرسي في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ من دُخولِ الجَنَّة إلا الموتُ، ولا يُوَاظِبُ عليها إلا صِدِّيقٌ أو عابدٌ، ومَن قَرأَها إذا أَخَذَ مَضْجَعَهُ أَمَّنَهُ اللهُ على نَفْسه وجاره وجارِ جارِه والأَبْياتِ مِن حَوْله".

ووَردَ أن الصحابةَ رضوانُ الله عليهم تذاكَروا عن أفضلِ ما في القرآن، فقال لهم عَلِيٌّ رضي الله عنه: أَيْنَ أنتم مِن آية الكرسي! ثم قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: "ياعَلِيّ، سَيِّدُ البَشَرِ آدمُ، وسيد العَرَبِ محمدٌ ولا فَخْرَ، وسيد

الفُرس سَلْمانُ، وسيد الروم صُهَيْبٌ، وسيد الحَبَشة بِلالٌ، وسيد الجبال طُورُ سِيناءَ، وسيد الأيام الجُمُعةُ، وسيد الكلامِ القرآنُ، وسيد القرآنِ البقرةُ، وسيد البقرةِ آيةُ الكُرسي". قال الإمامُ الزَّمَخْشَرِيُّ وغَيْرُه: "وإنما فُضِّلَتْ آيةُ الكرسي لِما فُضِّلَتْ به سورةُ الإخْلاصِ، مِنِ اشتِمالِها على تَوْحيدِ اللهِ تعالى وتَعْظيمِه وتَمْجيدِه وصِفاتِه العُظْمَى"..

➢ *في سورة الكهف :*

عن معاذ بنِ أنس الجُهَني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**مَن قرأَ أَوَّلَ سورة الكهف وآخرَها كانت له نوراً ما بين السماءِ والأرض**". وعن شُعبةَ، عن أبي هاشم بإسناده: أن النبي ﷺ قال: "**من قرأ سورة الكهف كما نَزَلَتْ كانت له نوراً يومَ القيامة**".

➢ *في سورة يس :*

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إنَّ لكُلِّ شَيْءٍ قَلباً، وقَلبُ القرآنِ (يس)؛ وَمَن قرأ (يس) كَتَب اللهُ له بِقِراءَتِها قِراءَةَ القرآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ**".

وعن عبدِ الله قال: قال رسول الله ﷺ: "**من قرأ (يس) في ليلة ابْتغاءَ وَجْهِ اللهِ غُفر له**". وعن معقل بن يسارقال:قال رسول الله ﷺ:"**اقْرَأوها على مَوْتاكُمْ**" يعني (يس).

وقال بعض العلماء: من خصائص سورة (يس) أنها لا تُقرأُ عند أَمْرٍ عَسيرٍ إلا يَسَّرَهُ اللهُ، وإنَّ قراءَتَها عند الميت لِتَتَنَزَّلُ الرحمةُ والبركةُ، ولِيُسَهِّلُ عليه خروجَ الروحِ.

وعن ابن عباس قال:قال النبيﷺ:**"لَوَدِدْتُ أنها في قَلبِ كُلِّ إنسانٍ مِن أُمَّتي"** يعني (يس).

وعن صفوان قال: كان المشيخةُ يقولون: إذا قرأْتَ -يعني (يس)- عند الميت خَفَّفَ اللهُ عنهُ بها.

➢ *في سورة الدخان :*

عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول اللهﷺ: **"مَن قَرأَ (يس) في ليلةٍ أَصبحَ مَغفوراً له، ومن قرأ (حم) التي يُذكَرُ فيها الدُّخانُ أَصبحَ مَغْفوراً له"**

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ: **"مَن قَرأَ (حم) الدُّخَان في ليلةٍ أصبح يَسْتَغْفِرُ له سبعون أَلْفَ مَلَكٍ"**.

➢ *في سورة الرحمن :*

عن جابر رضي الله عنه قال: خرج رسول اللهﷺ على أصحابه، فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: **"لَقَدْ قرَأْتُها على الجنِّ فكانوا أَحْسنَ مردوداً منكُمْ، كُنْتُ كُلَّما أَتَيْتُ على قوْله تعالى: "فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ" قالوا: لا شَيْءَ مِن نِعَمِكَ رَبَّنا نُكَذِّبُ فلَك الْحَمْدُ"**

➢ *في سورة الواقعة :*

عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يارسول الله قد شبتَ!! قال: **"شَيَّبَتْني هودٌ، والواقِعَة، والْمُرسَلات، وعَمَّ يَتَساءَلونَ، وإِذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"**.

وعن أبي ظبية قال: مرِض عبدُ الله مرضَه الذي توفي فيه، فعاده عثمانُ بنُ عفانَ، فقال: ما تشتَكي؟ قال: ذُنوبي! قال: ما تَشتهي؟ قال: رَحمةَ ربي!

قال: ألاَ آمرُ لك بطيبٍ؟ قال: الطِّيبُ أمْرَض! قال: ألاَ آمرُ لَك بعَطاءٍ؟ قال: لا حاجةَ لي فيه! قال: يَكونُ لبَناتك من بَعْدك؟ قال: أتَخْشى على بَناتي الْفقْرَ! إني أمَرتُ بَناتي يَقرأْن كُلَّ لَيْلة سورةَ الواقعَة، إني سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول: "**مَن قَرأَ سورةَ الواقعة كُلَّ لَيْلَةٍ لَم تُصبْهُ فاقةٌ أبدا.**

➢ *في سورة الملك :*

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "**إنَّ سورةَ في القرآن ثلاثين آيةً شَفَعَتْ لصاحبها حتى غُفرَ له: تَبارَكَ الذي**".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن رَجُلاً ممَّن كان قَبْلَكم مات وليس مَعه شيءٌ من كتاب الله إلاَّ (تبارك)، فلمَّا وُضع في حُفرَته أتاه مَلَكٌ فثارت السورَةُ في وجهه فقال لها: إنَّك من كتاب الله وأَنا أكْرَه إساءَتَك، وإني لا أمْلكُ لك ولا لَهُ ولا لنَفْسي ضَرّاً ولا نَفْعاً، فإن أرَدْت هذا به فانْطَلقي إلى الرَّبِّ تبارك وتعالى فاشفَعي له. فتَنْطلقُ إلى الرَّبِّ فتقولُ: ياربِّ إن فلاناً عمَد إليَّ من بَين كتابك فتَعلَّمَني وتلاني، أَفَتُحرِقُه أنت بالنار وأنا في جوْفه! فإن كنتَ فاعلاً ذلك فامْحُني من كتابك. فيقول: ألاَ أراكِ غَضبْت؟ فتقول: وحُقَّ لي أن أغْضَبَ! فيقول: اذهَبي فقد وَهَبْتُه لك وشَفَّعْتُك فيه. قال: فتَجيءُ فتَزْجُرُ الْمَلَكَ فيَخرُجُ خاسفَ البال لم يَنَلْ منه بشيءٍ. قال: فتَجيءُ فتَضَعُ فاها على فيه فتقول: مَرحباً بهذا الفَمِ فرُبَّما تَلاني، ومرحباً بهذا الصَّدْرِ فربما وَعاني، ومرحباً بهاتين القَدَمين فربما قامَتْ بي؛ فتُؤْنسُه في قَبْره مخَافةَ الوَحْشة عليه" قال: فلمَّا حدَّثَ بهذا رسول الله ﷺ لم يبقَ صغيرٌ ولا كبيرٌ ولا حُرٌّ ولا عَبْدٌ إلا تَعلَّمَها؛ وسماها رسول الله ﷺ الْمُنْجيَةَ.**

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لرجل: ألا أتحفك بحديث تفرح به؟ قال: بلى! قال: اقرأ تبارك الذي بيده الملك، وعلمها أهلك وجميع ولدك

وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المنجية، والمجادلة، تجادل وتخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها، وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار، وينجى بها صاحبها من عذاب القبر.

➢ *في سورة الإخلاص والمعوذتين :*

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: **"أَيَعْجِزُ أحدُكمْ أن يَقرأَ ثُلُثَ القرآنِ في لَيْلَة"؟ فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أَيُّنا يُطيقُ ذلك يارسولَ الله؟! فقال: "اللهُ الواحدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القرآن".**

وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: لَقيتُ رسولَ الله ﷺ فابْتَدَأْتُه فأَخذتُ بيَده فقلت: يارسولَ اللهِ بِمَ نَجاةُ المؤمنِ؟ قال: "ياعُقبة، أَخْرِسْ لِسانَك، ولْيَسَعْكَ بَيْتُك، وابْكِ على خَطيئَتِك" قال: ثم لقِيَني رسولُ الله ﷺ فابْتَدأَني فأَخَذ بِيَدي فقال: "ياعُقْبَةُ بنَ عامرٍ، أَلاَ أُعَلِّمُك خَيْرَ ثَلاث سُوَرٍ أُنْزِلَتْ في التَّوْراة والإنجيلِ والزَّبورِ والقرآنِ العظيم"؟؟ قال: قلتُ: بَلَى، جَعَلَني اللهُ فِداكَ، قال: فَأَقْرَأَني ((قل هو الله أحد)) و((قل أعوذ برب الفلق)) و((قل أعوذ برب الناس))، ثم قال: "ياعُقبةُ لا تَنْسَهُنَّ ولا تبت ليلة حتى تقرأهن" قال: فما نسيتهن منذ قال: لا تنسهن، وما بت ليلة قط حتى أقرأهن؛ قال عقبة: ثم لقيت رسول الله فابتدأته فأخذت بيده فقلت: يارسول الله أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: "ياعقبة، صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك"

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما ((قل هو الله أحد))، و((قل أعوذ برب الفلق))، و((قل أعوذ برب الناس))، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

قراءة القرآن على الموتى

مدخل :

يتساءل كثير من الناس عن حكم قراءة القرآن على الميت أهي جائزة أم لا ؟ وهل لذلك أصل في الشريعة وسند ثابت أم إنها بدعة منكرة داخلة في قول رسول الله ﷺ: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**؟(1)

الثابت بالنص والفعل أن الميت المسلم له على الأحياء حقوق منها ما يجب له عند الاحتضار، ومنها ما يجب له بعد الوفاة إلى أن يوارى التراب، ومنها مايجب له بعد ذلك. غيرأن الأمر دخلته كثير من البدع والمحدثات التي ليس لها أصل ولا يوجد فيها نص !!

فمما يجب له *عند الاحتضار*:

1- عيادته ؛ ووقت العيادة إما بكرة وإما عشية؛ من غير إطالة الجلوس عنده، تجنبا لإضجاره والإثقال عليه، واجتناب الحديث عنده بالأباطيل والأضاليل وما يدعو إلى اليأس أو الملل والقنوط أو الغفلة عن الذكر والثبات. وإنما الواجب السؤال عن حاله والتنفيس عنه بما يطيب نفسه ويدخل السرور عليه بالأمل والرضى والحمد.. وأن يرقيه ويدعو له بالشفاء والعافية، وينصحه بالتداوي لأنه سنة، وبالصبر الجميل لأنه خير له ومتنفس وتخفيف، ويرغبه في التوبة والاستغفار وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى وتفويض الأمر إليه، وينهاه عن تمني الموت والشكوى للخلق .

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها.

2- إضجاعه على جنبه الأيمن إذا ظهرت عليه علامات الأجل، وتوجيهه نحو القبلة، فإن تعذر ذلك وضع مستلقيا على ظهره ووجهه وقدماه نحو القبلة.

3- تجريعه جرعة من ماء بارد بملعقة أو ما يقوم مقامها ممايوصل الماء إلى جوفه.

4- تلقينه الشهادتين لقوله ﷺ: **"لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"**(2)

5- قراءة شيء من القرآن عنده من مثل سور: الفاتحة، ويس، والإخلاص، والمعوذتين.

وأما *بعد الوفاة* فمن الواجبات التي ذكرها بعض أهل السنة : تلقينه :

لما روي عن ﷺ أنه أمر بالتلقين بعد الدفن، وقالوا: يكفي فيه أن يقول الملقن للميت: "**يا فلان بن فلان ، أو يا عبد الله بن عبد الله ، أذكر دينك الذي كنت عليه في دار الدنيا من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وأن الجنة حق والنار حق، وأن البعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؛ وقل رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين إخوانا**".

وأما قراءة قصيدة البردة وقت غسل الميت فإنما هي بدعة لم تكن في زمن السلف الصالح، مع ما انضاف إلى ذلك من التصحيف الفاحش ممن يتصدى إلى قراءتها إذ ذاك، مما لا يحل سماعه فضلا عن النطق به، ومن قراءتها غالبا مع سورة (يس) عند الفراغ منها في المواضع الغير الطاهرة(3)

---

(2) أخرجه الجماعة إلا البخاري، عن أبي سعيد الخدري وغيره رضي الله عنهم

(3) الوزاني: النوازل الصغرى :1 / 163.

ومن أهم حقوقه وأولاها حينئذ: تغسيله، وتكفينه وتشييعه، ودفنه والتعجيل بذلك.
وأما *بعد الدفن*، فواجب المسلمين أن يدعو له ولأموات المسلمين أجمعين بالمغفرة والرحمة، وأن يهدوا له ما شاءوا من عمل خير أو مبرات، لأن عمله قد انقطع، ولكن الله عز وجل يوصل إليه ثواب ما قد يهدى إليه من عمل أقاربه والمومنين المسلمين، أو ثواب ما كان أجراه في حياته من خير أو بر؛ فقد قال رسول الله ﷺ : **"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"** (4)

وللعلماء في قراءة القرآن على الأموات أقوال وآراء :

وأما قراءة القرآن الكريم على الميت بعد وفاته فالراجح لدى الجمهور أنها بدعة مستحدثة، ليس في القرآن ما يدعو إليها، و لم يثبت عن رســـــول الله ﷺ فيها شيء، وإنما الثابت أن النبي ﷺ قال: ***"إقرأوا على موتاكم (يس)"*** (5). وعنه ﷺ أن من قرأها أو قرئت عليه عند نزول الموت نزلت عليه بعدد كل حرف منها عشرة أملاك يقرأون بين يديه صفوفا، يصلون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويشيعون جنازته، ويشهدون دفنه.
وفي رواية: أيما مسلم قرأها أو قرئت عليه لم يقبض حتى يأتيه رضوان خازن الجنة بشربة من شرابها فيشربها ويقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره ريان، ويبعث ريان، ويحاسب ريان، ولا يحتاج إلى حوض مورود.

---

(4) رواه الإمام مسلم، والترمذي، وأبو داود، والإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) أخرجه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم، وابن ماجة، وأبو داود، وابن حبان وصححه؛ عن معلى بن يسار.

وفي أخرى: إقرأوا سورة (يس) عند موتاكم يخفف عنهم كرب الموت، ومن دخل المقابر يقرأ سورة (يس) ساعة الدفن، وفي السابع فإنه ينفع الميت.

وفي رواية أخرى عنه ﷺ أن من قرأ (يس) أو قرئت عند رأسه وهو في سكرات الموت يبعث الله ملكا إلى ملك الموت "أن هون على عبدي الموت"(6)

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: **"من مر على المقابر فقرأ (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجره إلى الأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات"**(7).

ونستعرض فيما يلي أقوال بعض العلماء :

الشيخ خليل: هي عنده مكروهة؛ وفي ذلك يقول:

وكره ... قراءة عند موته -كتجمير الدار- وبعده، وعلى قبره(8)

القرافي : في الموضوع عنده تفصيل واحتياط:

مذهب أحمد بن حنبل وأبي حنيفة أن القراءة يحصل ثوابها للميت، إذا قرأ عند القبر حصل للميت أجر المستمع. والذي يتجه أن يقال لا يقع فيه خلاف إنهم يحصل لهم بركة القرآن لا ثوابه، كما تحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده. والذي ينبغي للإنسان أن لا يهمل هذه المسألة، فلعل الحق هو الوصول إلى الموتى فإن هذه أمور مغيبة عنا وليس فيها حكم شرعي، وإنما هو في أمر واقع هل هو كذلك أم لا؟(9)

---

(6) النوازل الصغرى 164/1، وينظر: الفقه الإسلامي وأدلته 542,536,453,445/2 .

(7) النوازل الصغرى 165.1.

(8) المختصر 54

(9) الفروق : الفرق 172

الونشريسي: يعرض أقوالا وآراء، يستخلص منها أنها بدعة منكرة، مع تفصيل وتفريق:

وسئل أبو إسحاق الشاطبي عن قراءة (يس) بالجمع عند غسل الميت، فأجاب: إن في تلك القراءة ما في قراءة الحزب، وتزيد بأنها قراءة القرآن في موضع إزالة الأقذار والأوساخ التي يتره القرآن عنها؛ ويكفي المؤمن أنه لم يكن من عمل السلف، وإنما جاء في قراءة (يس) ما جاء عند الاحتضار لا عند الغسل ولا عند الدفن ولا غيرهما.(10)

وسئل أيضا .. وهل تجوز قراءة القرآن على القبور بالجمع كما يفعله الناس اليوم؟ فأجاب: .. وأما قراءة القرآن على القبور جميعا هو نحو ما تقدم(11) وخلاصة ما تقدم في الشطر الأول من إجابته على شطر من هذا السؤال: أنه بدعة منكرة، ولم ينقل فيه شيء .. فهو طامة.

وسئل ابن عتاب عمن أوصت أن يضرب على قبرها خباء ويقرأ القرآن على قبرها بأجرة ذكرها، فأجاب: .. وما عهدت به للقارئ على قبرها نافذ كالاستيجار على الحج، وهو رأي شيوخنا، بخلاف وصيتها بمال لمن يصلي عنها أو يصوم(12)

---

(10) المعيار المعرب: 327/1: تحت عنوان: تقرأ سورة (يس) عند الاحتضار، لا عند الغسل والدفن.

(11) ، (12) المصدر نفسه328/1

وسئل الأستاذ أبو عبد الله الحفار عن قراءة الإنسان القرآن ويهديه للميت، فأجاب : هذا على قسمين:

أحدهما أن يقرأ الإنسان وينوي أن تكون القراءة عن الميت، ويكون القارئ نائبا [عن الميت] في القراءة، فهذا القسم، الصحيح أن الميت لا ينتفع بالقراءة؛ والقسم الثاني أن يقرأ لنفسه ويهب الثواب الذي يؤتيه الله على القراءة، يهب ذلك للميت، فهذا القسم على هذا الوجه ينتفع به الميت، فإذا قرأ الإنسان على هذا الوجه ووهب الثواب للميت وصل ذلك للميت وانتفع به إن شاء الله تعالى. الأبي: رأيت لبعضهم أن القارئ للغير إن صرح أو نوى قبل قراءته أن ثواب قراءته للغير كان ثوابها للغير، وإن كان إنما نوى الثواب بعد القراءة فإنه لا ينتقل، لأن الثواب حصل للقارئ، والثواب إذا حصل لا ينتقل(13)

ويورد الونشريسي بعد ذلك نصيحة من الشيخ أبي الطيب ابن غلبون المقري لأحدهم وقد بلغه نعي أبيه فوجد عليه وجدا شديدا، قال: ارجع إلى ما هو أعود عليك وعلى الميت من أفعال البر والخير، مثل الصدقة وما شاكلها. وأمرني أن أقرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات كل ليلة. ثم يذكر له حديث رؤيا تدل على أن ثواب قراءة القرآن على الميت يصله(14)

وينقل ما في نوازل ابن رشد: إذا قرأ الرجل ووهب ثواب قراءته لميت جاز ذلك وحصل للميت أجره وحصل له نفعه(15) ثم يورد مقولة القرافي في الفرق 172 المتقدم ذكرها.

---

(13) المعيار المعرب331/1: تحت عنوان: تقرأ سورة (يس) عند الاحتضار، لا عند الغسل والدفن.

(14) المعيار المعرب 1 / 332 (15) المعيار المعرب 1 / 333

وتحت عنوان: القراءة في أجزاء القرآن في صباح القبر، ينص الونشريسي على أنه: "قيل وما أحدث من القراءة على القبر والتكرر إليه وجرت عادة المتأخرين من القرويين وغيرخم برفع ختمة ذات أجزاء في اليوم الآخر من مدة التكرر إليه في حدث الدفن، ويأخذونها أجزاء ويقرأونها.، كان الشيخ أبو الحسن العبدلي ينكر ذلك ويقول إن الجمع لا يخلو من محدث أو جنب فيمس أجزاء القرآن وهو كذلك إما جهلا أو جرأة. ويقول: أصل مذهب مالك أنه لا ينتفع بعمل الأبدان، وهذا منه(16)

المهدي الوزاني : يعرض في *"النوازل الكبرى"* فتاوى بعض الفقهاء المتقدمين عليه، وينفي أن تكون قراءة القرآن على الميت من السنة فيقول:

سئل الإمام ابن السراج عن عادة .. أن الميت يحمل من داره بالقراءة حتى يدفن، ثم يوصونه بعد الدفن يقولون له: إذا قيل لك من ربك وما دينك .. الخ ؟ ثم ينصرفون عن القبر إلى ناحية أخرى، فيقف قرابة الميت، ويقف في مواجهتهم الإمام وأربعة من الناس أو أكثر أو أقل، ويقولون لقرابته: أحسن الله عزاكم، والناس يجوزون بين الصفين، كل واحد يقول لهم كذلك، هل هذا جائز أم لا ؟

فأجاب : أما القراءة أمام الجنازة في حال حمل الميت فلم ترد في السنة والأولى تركها، لأنه قد يكون في الأرض نجاسة. وأما تذكير الميت بعد دفنه

---

(16) المعيار المعرب 1 / 335

.. فلم يرد في حديث صحيح، وجاء في حديث ضعيف، لكن عمل به في الشام، وقال به علماء الشافعية...

قلت : أما ما ذكره من كون القراءة في حال حمل الميت لم ترد في السنة .. الخ. فمراده السنة المشهورة، وإلا فقد قال في روح البيان عند قوله تعالى: "**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى**"(17) ما نصه: ((وقد ذكر الخرائطي في كتاب الثبور، قال: سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرأوا معه سورة البقرة)). ولما نقله قال: فيه دليل على سنة الذكر عند حمل الجنازة، لأن الذكر من القرآن، ولذا كان على الذاكر أن ينوي التلاوة والذكر معا حتى يثاب بثواب التلاوة، فحيث سن القرآن سن الذكر المأخوذ منه. وبه يظهر ما في كلام الشيخ ابن ناصر حيث قال: والذكر لحمل الجنازة لا يجوز، والمختار فيه السكوت والتفكر في نفسه كيف يكون حاله إذا كان على تلك الحالة؛ وكذا قول ابن سراج أيضا لما سئل عن الذكر أمام الجنازة ما نصه: الأولى والأفضل تركه متابعة للسلف الصالح، فإنهم كانوا يمشون سكوتا أمام الجنازة؛ وكذا قول ابن هارون: إن رفع الصوت بالأذكار عند تشييع الجنازة بدعة، وليذكروا في أنفسهم إن أحبوا. (18)

والأصل في القراءة على الميت عند دفنه الحديث المشهور في يس: "**إقرأوها على موتاكم**"، فخصه قوم بحالة الاحتضار، وأطلقه آخرون.(19)

---

(17) سورة النجم 38/53.

(18) النوازل الكبرى 2 / 38

(19) النوازل الكبرى 2 / 40

وسئل أبو القاسم بن خجو عن القراءة على الميت هل المشهور فيها الانتفاع بها أم لا ؟ وإن أوصى الميت بمال لمن يقرأ عليه هل لابد من تحديد القراءة لأنه من باب الإجارة، أو لا يحتاج إلى تحديدها، وأنه من باب المكارمة ؟ .. وهل حكم القراءة للحي كالقراءة للميت أم لا ؟ فأجاب : مذهب الأندلسيين جواز القراءة للميت بأجرة وبغير أجرة، والنفع له حاصل إن شاء الله ، والعكس للقرويين كأبي حفص العطار ومن جرى مجراه، وأن النفع لا يحصل بها عندهم سوى للقارئ .. ولا يجيز الإجارة على ذلك، لأنها عنده من أكل أموال الناس بالباطل .. (20)

وسئل موسى بن العقدة : هل ينتفع الميت بالقراءة والدعاء والصدقة، أهدى له ذلك قريب أو صديق أو غيرهما أو لا ؟ ..

فأجاب: الدعاء متفق عليه أن لميت ينتفع به، وكذلك الصدقة والعتق عليه .. وأما قراءة القرآن على القبور فالمشهور عن إمامنا مالك رحمه الله تعالى كراهتها، وأجازها غيره اعتمادا على حديث القبرين، وحفظت عن أشياخنا رحمهم الله تعالى، نقلوه عن بعض أهل العلم، أن من قرأ على ميت ودعا الله تعالى أن ينفع الميت بأجر تلك القراءة فإن الله تعالى ينفعه بها ويكون ذلك من باب الدعاء المتفق عليه بأنه ينتفع به، سواء كان على القبر أو غيره. وأما قراءة الحي على الحي بالإجارة فالمشهور عدم جوازها، وإنما تجوز على الميت بعد الموت إذا اتفق القارئ مع ولي الميت بقراءة معلومة وإجارة معلومة غير

---

(20) النوازل الكبرى 2 / 44

مجهولة يكون ذلك معلوما في معلوم على قول، وقيل: القراءة بالإجارة مكروهة بعد الموت(21)

وأما الدعاء للصغير والقراءة عليه وزيارة قبره فجائز من غير خلاف، وينتفع به(22)

وفي *"النوازل الصغرى"*: يورد فتوى الشاطبي نقلا عن معيار الونشريسي(23)، ثم يقول: ..بل القراءة وردت فيها الآثار عن النبي ﷺ(24)، واستحبها غير واحد من الأئمة الأعلام قال في المعيار، عن أبي سعيد بن لب: والأصل في القراءة على الميت عند دفنه الحديث المشهور في سورة (يس): إقرأوها على موتاكم، فخصه قوم بحالة الاحتضار وأطلقه آخرون.

وقد اختلف العلماء في القراءة على الميت على قولين بالكراهة والاستحباب:

- والقول بالاستحباب لابن حبيب، وصححه ابن الحاجب، واقتصر عليه اللخمي، وصدر به في الرسالة، وعليه اقتصر أيضا الإمام أبو عبد الله ابن عرفة ونص الرسالة، وأرخص بعض العلماء في القراءة عند رأسه سورة (يس). و لم يكن ذلك عند مالك أمرا معمولا به؛ قال القلشاني في شرحها

---

(21) النوازل الكبرى 2 / 45

(22) نفسه 2 / 47.

(23) المعيار المعرب1 / 163

(24) يشير إلى حديث معلى بن يسار"إقرأوا على موتاكم (يس)": أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجة وأبو داود وابن حبان وصححه والحاكم.

نقلا عن الجزولي: وأما قراءة (يس) عند رأسه فقد روي عن رسول الله أن من قرأها.. الخ.(25)؛ وقد شاع ذلك في البلاد وبين العباد، وقد حدث عن جماعة أموات أنهم انتفعوا بذلك. (هـ) بلفظه. وقال ابن عرفة: قبل عياض استدلال بعض العلماء على استحباب القراءة على القبر بحديث الجريدتين، وقاله الشافعي (هـ)

- وقال الإمام المواق عند قول المختصر(26) "وقراءة عند موته" ما نصه: سمع ابن القاسم وأشهب، ليست القراءة والبخور من العمل، (ابن رشد). استحب ذلك ابن حبيب.وروي عن النبيﷺ:"من قرأ (يس) أو قرئت عند رأسه وهو في سكرات الموت يبعث الله ملكا إلى ملك الموت: أن هَوِّن على عبدي الموت"(27)

وقال: إنما كره مالك أن يفعل ذلك استنانا، وعن ابن يونس ما نصه: ويستحب أن يقرب منه إذا احتضر رائحة طيب من بخور وغيره، ولا بأس أن يقرأ عند رأسه بـ(يس) أو غيرها. وقد سئل عنه مالك فلم يكرهه؛ وإنما كره أن يعمل بذلك استنانا (انتهى كلام المواق).

ثم قال عند قوله في مختصر خليل: "وعلى قبره" ما نصه: لم يقل ابن عرفة إلا ما نصه: قبل عياض استدلال بعض العلماء على استحباب القراءة على القبر بحديث الجريدتين. وقاله الشافعي. وفي الإحياء: لا بأس بالقراءة على القبور.

---

(25) الحديثين المتقدمين ص 30

(26) يقصد مختصر خليل

(27) النوازل الصغرى164

عن علي بن موسى قال: كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة، وكان ابن قدامة معنا، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: إن هذا بدعة، فقال ابن قدامة لأحمد: ما تقول في بشر بن إسماعيل؟ فقال ثقة.فقال كتبت عنه؟ قال نعم، أخبرني عن عبد الرحمن عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وبخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك؛ فقال أحمد: فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ (هـــ). وقال الحطاب ما نصه:

ذكر القرطبي من حديث علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **"من مر على المقابر فقرأ (قل هو الله أحد) إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجره إلى الأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات"**(28)؛ ثم ذكر عن القرطبي أيضا عن الحسن قال: من دخل المقابر فقال: "اللهم رب هذه الأجساد البالية، والعظام النخرة، التي خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة، أدخل عليها روحا منك وسلاما مني" إلا كتب له بعددهم حسنات.

وقال الحطاب أيضا: عند قوله(29) "وعلى قبره " ما نصه : قال ابن الفرات في شرح قول المصنف: "وتطوع وليد عنه بغيره" عن القرافي أنه قال: الذي يتجه أنه يحصل لهم بركة القراءة كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح يدفن عندهم أو يدفنون عنده. ثم قال في مسألة وصول القراءة، وإن حصل الخلاف فيها، فلا ينبغي إهمالها، فلعل الحق هو الوصول، فإن هذه الأمور مغيبة عنا، وليس الخلاف في حكم شرعي، إنما هو في أمر هل يقع كذلك أم لا ؟

---

(28) النوازل الصغرى165/1.

(29) أي قول الشيخ خليل في المختصر.

ثم ينقل المؤلف من جواب العبدوسي في نوازل الجنائز من "المعيار" قوله: وأما القراءة على القبر؛ ثم يورد فتوى أبي عبد الله الحفارنقلا بالنص عن المعيار(30) ويورد نصيحة من الشيخ أبي الطيب ابن غلبون المقري لأحدهم، نقلا عن المعيار المعرب(31) ويقول: وفي نوازل ابن رشد: إذا قرأ الرجل ووهب ثواب قراءته للميت جاز ذلك وحصل للميت أجره وحصل له نفعه. ثم يسوق مقال القرافي في الفرق172 (32)؛ وساق بعد ذلك فتوى للمواق من نوازل الأحباس من المعيار حول من أوقف حبسا على قبر لمن يقرأ عليه؛ وقال الإمام أبو سالم سيدي إبراهيم بن هلال في نوازله: الذي أفتى به ابن رشد وذهب إليه غير واحد من أئمتنا الأندلسيين أن الميت ينتفع بقراءة القرآن الكريم ويصل إليه نفعه ويحصل له أجره إذا وهب القارئ قراءته له، وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا، ووقفوا على ذلك أوقافا، واستمر عليه الأمر منذ أزمنة سالفة. ثم ذكر أن العز بن عبد السلام رِيءَ في المنام بعد موته فأخبر أنه تراجع عما كان ينكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى. وذكر بعد أن الشيخ الإمام أبا عبد الله المسناوي في تأليفه "القول الكاشف" يذهب إلى ترجيح أن الثواب يصل إلى الميت، وأن الأمر مغيب، وليس الخلاف فيه خلافا في حكم شرعي وإنما هو في الواقع في نفس الأمر هل الوصول أو عدمه(33).

---

(30) النوازل الصغرى 1. 166 - 167 ، وانظر المعيار المعرب1 / 331

(31) النوازل الصغرى1.168 ، وانظر المعيار المعرب1 / 332.

(32) راجع ص30

(33) النوازل الصغرى1.169

ابن جزي : يروي قولين: الاستحباب، والكراهة؛ فهو يقول يلقن المحتضر (لا إله إلا الله)، ويدعى له بخير، وليحسن هو ظنه بالله فيغلب عليه الرجاء حينئذ، وفي قراءة (يس) أو غيرها قولان: الاستحباب والكراهة، وكذلك في رده إلى القبلة، فإذا قضى غمضت عيناه ووجبت له أربعة حقوق ..(34)

محمد العربي القروي : يراها مكروهة عند الموت، وبعـــده، وعلى القبور، فيقول: إن المكروهات في الجنائز اثنتان وعشرون؛ ويذكر منها "قراءة شيء من القرآن عند الموت وبعده وعلى القبور، لأنه ليس من عمل السلف الصالح، وإنما كان شأنهم الدعاء بالمغفرة والرحمة والاتعاظ. فإن قصد بقراءة القرآن التبرك من دون أن يتخذ ذلك عادة فإنه يجوز(35)

سيد سابق : يذكر آراء من يستحبها، ومن لا يرى بها بأسا، ومن يكرهها، فيقول: اختلف الفقهاء في حكم قراءة القرآن عند القبر :

- فذهب إلى استحبابها الشافعي ومحمد بن الحسن، لتحصل للميت بركة المجاورة، ووافقهما القاضي عياض، والقرافي من المالكية؛
- ويرى أحمد أنه لا بأس بها؛
- وكرهها مالك وأبو حنيفة، لأنها لم ترد بها السنة(36).

---

(34) القوانين الفقهية 86

(35) الخلاصة الفقهية 154

(36) فقه السنة 1 / 559.

وخلاصة ما تقدم في حكم قراءة القرآن على الميت :

- أنها تكره عند المالكية عند الموت وبعدها وعلى القبر، لأنه ليس من عمل السلف، غير أن بعض المتأخرين من علماء المذهب لم يروا بأسا بقراءة القرآن والذكر على الميت وجعل ثوابه له.

- وتندب عند الجمهور قراءة سورة (يس) على الميت، ولكن عند احتضاره لا بعد موته، لأن قراءتها تذكره بأحوال القيامة والبعث المذكورة في السورة، وذلك استنادا إلى قوله ﷺ: "**إقرأوا على موتاكم (يس)**"، وقالوا إن قوله ﷺ "**على موتاكم**" يعني على الذين يشرفون على الموت، على غرار قوله ﷺ "**لقنوا موتاكم**".

- ويستحسن عند بعض المتأخرين من الحنفية والشافعية قراءة سورة الرعد أيضا، يستندون إلى قول جابر بن عبد الله رضي الله عنه "**إنها تهون عليه خروج روحه**" ، وهذا يدل على أن القراءة تكون قبل الوفاة لا بعدها.

ولا بأس أن يجلس المسلم في المسجد أو في بيته فيقرأ من القرآن ما تيسر، فإذا فرغ من القراءة سأل الله عز وجل المغفرة للميت والرحمة، وتوسل إليه سبحانه بتلك الآيات التي تلاها من القرآن الكريم، ففي هذا ترحم وأجر وثواب إن شاء الله. أما اجتماع القراء في بيت الميت ورفع أصواتهم بالقرآن حول الجثة، أو في المقبرة أثناء الدفن وأخذهم على ذلك أجورا من قبل أهل الميت، وقد يكون ذلك من أموال الورثة قبل قسم التركة على مستحقيها فإني لم أجد له أصلا في كتاب ولا سنة ولا في عمل لسلف هذه الأمة الصالح، ومن ثم فهو بدعة منكرة يجب تركها والنهي عنها .

قصص الأنبياء في القرآن الكريم

تربية وعبرة وبيان



القرآن الكريم مصدرٌ مَكينٌ للعلم بالشرع وتصحيحِ التصور وهِدايةِ الإنسان للتي هي أَقوَمُ له على مستويات الفكْرِ والعقيدةِ والعبادةِ والسلوكِ والسياسةِ والتدبير. وهو مَعينٌ ثَرٌّ للمعرفة، ومَنبَعُ مِدْرارٌ لمختلف ما يَشغَل فكرَ الإنسان ما يتعلق منه بِمَعاشِه وما يتعلق بمَعاده، وما يتصل بأحواله وعلاقاته النفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية؛ ففيه — كما ورد في حديث علي رضي الله عنه — نَبَأُ ما قَبلَنا، وخَبَرُ ما بعدنا، وحُكْمُ ما بينَنا؛ وهو الكلام الذي لا تلتبسُ به الألسِنَةُ، ولا يَشْبَعُ منه العلماء، ولا يَخلَقُ على كثرة الرَّدِّ، ولا تَنقَضي عَجائبُهُ؛ ويتلخص الْحُكمُ عليه في قول الجنِّ إذ سمعَته إنهم سمِعوا قرآناً عَجَباً يَهدي إلى الرشد، أي في جميع جوانب الحياة .

لكن الْمَنحى البياني في هذه المعجزة الفَذَّةِ يبقى الجانبَ الأغْنى والأجْدَرَ بالبحث والتعمق والتدبُّرِ، والأدلَّ على طبيعة كلام الله الْبَيِّنِ والمحققِ لفكرة الإعجاز التي تُلازِمُ هذا الكتابَ وتعطيه قيمتَه الأولى المَمَهِّدَةَ للأهداف والغايات الأخرى .

من ثَمَّةَ نَبَتَتْ فكرةُ نشر سلسلةٍ من الدراسات البيانية الجادَّةِ في أَذهان بعض الباحثين والمتخَصِّصينَ في النقد والبلاغة والبيان، وعلاقةِ ذلك بروعة القرآن، فانطلق الفكر لديهم من عِقالٍ، ونَبَعَ القولُ من تَعَمُّقٍ لا من خَيالٍ، وانهمَكوا في البحث في قَصص القرآن الكريم يستكشفون مَعالِمَه ويَغوصون في أعماق

مقاصده ويتقصَّوْن ظواهرَ بَيانه وصورَ جماله، ويدْعون الناسَ إلى مائدته، ويُجلّون لهم رَوْعَةَ تصويره ورَونقَ بَلاغته.

ومن هذه الدراسات ما قام به الدكتور مبارك العلمي، في كتابٍ يَرْفُض منذ البداية عَرْضَ القرآن الكريم على الشروط الفنِّية التي وضعها نُقّادُ الأدب للفَنِّ القَصَصي باعتبار هذه الشروط في مُعْظَمها شروطاً مُسْتَورَدةً من خارج المنظومة الفكرية والفنية الذاتية لأمة القرآن، أما القرآنُ فَفَنُّه مُتَمَيِّزٌ بذاته، قائمٌ بنفسه لا يتذَوَّقُه إلا من يُحسنُ الاحتكاكَ المباشرَ به، ويُمعنُ النظرَ المتدبِّرَ فيه، استجابةً لدعوته: "**أفلا يتدبّرون القرآنَ أمْ على قلوبٍ أقفالُها** (1)، "**ولقدْ يَسَّرْنا القُرآنَ للذِّكْرِ فهلْ منْ مُدَّكِرٍ**" (2)، "**ولوْ جعلْناهُ قُرْآناً أعجمياً لقالوا لوْلا فُصِّلتْ آياتُهُ! أأعْجميٌّ وعربيٌّ؟ قُلْ هُوَ للَّذينَ آمنوا هُدىً وَشِفاءٌ، والَّذين لا يؤمنونَ في آذانهمْ وَقْرٌ وَهُوَ عليْهمْ عَمىً ..**" (3). فالذي ينفتحُ على القرآنِ بِقَلْبه وعَقله وفِكره ومشاعِره هو الذي يفهمُه ويتذَوّقُ جماليتَه الخاصَّةَ ويتعرَّفُ على خصوصياته الأسلوبية.

وحين اختار هذا الباحثُ جانباً واحداً من بيان القرآن هو القَصَصُ القرآني، وبالأخصِّ منه قَصَصُ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، فقد اختار الجانبَ الأكثرَ دلالةً على البراعة المدهشَةِ والإعجازِ المقرونِ بالتحدّي التي تُميِّزُ فَنِّي التعبير والنَّظْمِ في القرآن الكريم، ولا يَخفَى ما لهذه القَصَصِ بالذات من أَهَمِّيةٍ على المستويات الأسلوبية والفنية والدعَوية والتربوية والتوجيهية ..

---

(1) سورة محمد25/47 (2) سورة القمر 40,32,22,17/54

(3) سورة فصلت 43/41

وتلك الأهميةُ الحاضرةُ في اتجاه هذا الباحث وفكرِه تُطِلُّ علينا من العُنوان العامِّ الذي جعَلَهُ تَرجمةً لجميع حلَقات هذه السلسلة وهو "مِنْ قَصص القرآن الكريم: سلسلةُ جُنْدِ اللهِ الغالبين، وجُنْدِ الشيطانِ الْمَهزومين"؛ فكانت الترجَمةُ مُعَبِّرَةً عن المقصود كاشفةً عن طبائعِ أولئك الجنودِ، دالةً على خِذْلان كلِّ شيطانٍ مَنْبوذ؛ وكانت الحلَقاتُ عقداً مُنْتَظماً تَتَنافَسُ جواهِرُه في التَّلأْلُؤِ والنَّصاعَةِ، وتَتزاحَمُ دُرَرُهُ على ذُرَى الإِفْصاحِ والْبَراعَةِ، وكانت الحلْقةُ الأولى من هذه السلسلة بعنوان "قِصَّةُ آدمَ عليه السلامُ، وإبْليس اللَّعين: دِراسَةٌ بيانيَّةٌ كاشِفةٌ عن إعْجازِ القرآنِ الكريمِ، مِن حَيْثُ تَنْجيمُ القِصَصِ، تَنْفي عَنه التَّكْرارَ، وتُنبِئُ بما فيه من حِكَمٍ ومَواعِظَ وأَسْرارٍ"، وهي عَنْوَنَةٌ مُتَلائمةٌ مع الهدَف العامِّ من السلسلة، وانطلاقَةٌ تَفْتَحُ الأَذْرُعَ لاحْتِضانِ المعرفة العَميقة بالمقاصد المؤَمَّلة.

وتُعتَبَرُ مقدمةُ الكتابِ مفتاحاً للوُلوجِ إلى موضوعٍ ذي أهَمِّيةٍ قُصوَى وفائدة عُظمَى، هو موضوع القِصَّة القرآنية، فهي تَفتحُ للقارئ آفاقَ الكتاب، وتُمَهِّدُ له سبيلَ التفاعُلِ مع فكرته ومَنْهَجِه وأهدافِه، ولَعَلَّ أهمَّ سِمَةٍ تُمَيِّزُ هذه الأهدافَ وذاكَ المنهجَ وتلك الفكرةَ هي التصريحُ بأن الكتابَ موجَّهٌ إلى "الأساتذة الفُضَلاءِ، وللطَّلَبة وعُمومِ القُرّاءِ النُّجَباء، الذين لا تَفْتَأُ قلوبُهم تتطَلَّعُ للدخول إلى حَرَمِ القرآن العظيم .. تَتْلو مُحكَمَ آياته، وتَتَفَكَّرُ في أحكامِه ومَواعظِه، راغبةً في التحلّي بمبادئه وقِيَمِه، والتَّزَيُّنِ بأخلاقه وآدابه"(4)

---

(4) مبارك العلمي، من قصص القرآن الكريم، سلسلة جند الله الغالبين وجند الشيطان المهزومين، قصة آدم عليه السلام وإبليس اللعين ج1ص3-4

واختيارُ ثمانيةٍ من الأنبياء ليكونوا موضوعاً لحَلَقات هذه القَصَص، يَتَبَرَّرُ بأن قِصَصَ هؤلاء الأنبياء المختارين "جاءَتْ على شَرْطِ موضوع دراسةٍ قرآنيةٍ أشملَ هو: مَعارضُ المقابَلَة العَقَديَّة في القرآن الكريم"(5) وهذا في الحقيقة أكثرُ من مُجرَّدِ تَبْريرٍ، إنه نَهْجٌ فِكْريٌّ يتبنّاه هذا العملُ ويدعو إليه بإيمانٍ وإصرارٍ، ألا وهو أن قِصَصَ القرآن الكريم لا تتكرر ، ولكنها مَعارِضُ متنوعةٌ تُصَرِّفُ فيها الآياتُ تصريفاً في مَشاهدَ مختلفةٍ من غير تَكرارٍ أبداً، ف"ليس في القَصص القرآني تَكرارٌ بل فيه تَصْريفٌ للآيات"(6).

والمؤلِّف، أيُّ مؤلِّف، ما كانت شخصيتُه قويةً ومَعرفتُه بموضوعه محيطةً وفكرُه المعبِّرُ عنه عميقاً ومَنهجُه المتَّبَعُ سليماً، فإنه لا يَتَملَّقُ قارئاً ولا يُغازِلُ فَكراً، ولا يُجامِلُ مَذْهَباً، لأنه يكونُ مؤمناً بما يقول، مستعدّاً للدفاع عما يَرى، وإذا تعلَّقَ الرأيُ بالقرآن الكريم النَّص الأَكْمل والأجْدَر بأن يَحسبَ الإنسانُ أَلْفَ حسابٍ قبل أن يقولَ فيه، فالأمرُ يزدادُ خُطورَةً وحَرَجاً، والحديثُ عنه يزداد انضباطاً وتدقيقاً واحترازاً !

ومؤلِّفُ هذه الحلَقات الطيبات يعبِّرُ بكل صَراحةٍ ووُضوحٍ عن رأيه في أهداف القَصص القرآني، فيبين استخلاصاً من روح القرآن وعبارته أن للقَصص القرآني هدَفاً واحداً هو "تثبيتُ قَلْبِ محمدٍ ﷺ"(7)، ويَرُدُّ على من يرى هدفاً غيرَ هذا من الباحثين الذين يخالفون – في نظره – نَصَّ القرآن

---

(5) المرجع المتقدم نفسه ص 4

(6) المرجع نفسه ص 20

(7) المرجع نفسه ص 25

الكريم ومَفهومَه، ويرَوْن أن المرادَ من القَصص القرآني هو التأثيرُ الوِجداني والإثارةُ العاطفيةُ وليس التأثيرَ العقليَّ وإقامةَ الدليلِ والبرهانِ. ولكنَّا نرى أنه يَجوزُ للقارئ أن يَتساءل: لما ذا لا تكونُ هناك أهدافٌ أخرى للقَصص القرآني؟ كالعِبْرة والْموعِظة والتربية وغيرِ ذلك مما لا يَتعارضُ مع مبدأ التَّثْبيتِ الذي يقول المؤلِّفُ بانْفرادِه !

عُرِضَتْ قصةُ آدمَ وإبليس – وهي الحلقةُ الأولى في هذه السلسلة المبارَكة المفيدةِ إن شاء الله تعالى -باعتبارها خُلاصةً لرِحلة الإنسان في الحياة الدنيا ومن خلالها يُحقِّقُ هذا الإنسانُ -أو لا يحقق- معنى الاستخلافِ في الأرض، ويَحملُ -أو لا يحمل- أمانةَ التَّكليفِ، ويَتَبيَّنُ من خلال عَرضِها أنها وردت في سبعةِ مَعارِضَ مِنْ سَبْعِ سُوَرٍ. فذُكِر لكلِّ مَعرضٍ سياقُه ورُتِّبت الآياتُ أو المعارض حسَب السياق التابعِ لِتَوالي النزول لا حسبَ الترتيبِ الوارِدِ في الْمُصحَف الْمَنْقولِ، لأن ذلك أكثرُ استجابةً لداعي العِلم والتَّدبُّرِ، وأَعْوَنُ على إدراك الخصائصِ المميِّزة لطبيعة القصة القرآنية، وهو لَعَمْرُ الحق رأيٌ له وَجاهَتُه على مستوى تَتَبُّعِ القصة ومُقتضَيات وُرودها ودَوالٌ فَهمِها وتَذَوُّقِها أُسلوبياً ونَظماً ودَلالياً؛ والمعارضُ السبعةُ كلُّها شَيِّقَةٌ في طريقة عَرْضِها، جادَّةٌ في تحليلها، واضحةٌ في الدَّلالة على بَيانها ورَوْعَة أُسلوبها وجميلِ أدائها.

أمّا قصةُ نوحٍ عليه السلام وقومِه، وهي الحلقةُ الثانيةُ في هذه السلسلة القَيِّمَة، فإن القرآن يعرِضُها في أَحَدَ عَشَرَ معرضاً هي المواضعُ التي ذكر اللهُ عز وجل فيها نوحاً أو أشار إليه أو إلى قومه أو إلى دَعْوَته .. واحتراماً للمَنهج الذي اتّبَعَه المؤلِّفُ في هذا العمل تجده يستعرض مَشاهدَ القصة، أي مَعارِضَها –

كما يُسميها المؤلف- من خلال السور حسب ترتيبها في النزول لا ترتيبها في المصحف، فهو يُقَدِّمُ بمعرض القصة في سورة القمَر، ثم في سورة الأعراف، ثم في سورة الفُرقان .. ويختم بسورة العنكبوت؛ و يبدأ كلَّ معرض من تلك المعارض بإثبات الآيات التي تَعرِضُ القصةَ أو بعضَ فُصولها في السياق القرآني، ثم يُمَهِّدُ ببيان محتوى الآيات وأَبعادِها في وصف مُرَكَّزٍ دقيق جَعَلَ عُنوانَه "الْمَعْرِضُ في سياق السورة"،ثم يسوق "مَعَالِمَ الْهُدَى"، وهي عبارةٌ عن عنوانٍ كبيرٍ يَتضمَّنُ تفريعًا إلى "الأصل الثابت" الذي تتفرع عنه الفروع الآخذَةُ بيد القارئ إلى الغَوْصِ في عُمق النَّصِّ وأَبعادِ القَصِّ ..

وهكذا تَتَبَّعَ كلَّ قصة من قِصص الأنبياء المختارين، وفي كل مَعرضٍ من كل سورة من السور المشتملة على القصة أو بعضِ أحداثها أو بعضِ مَشاهدِها مَنهجاً جديداً في دراسة القَصص القرآني، وهو مَنهجٌ واضحٌ محدَّدٌ، يبدأ بسَوْق المعرض الذي يَعرض فيه القرآنُ القصةَ ثم يَربط المعرضَ بسياق السورة، ثم يحلل المعرضَ في إطار عُنوانٍ مُختارٍ بدقة وهو "مَعَالِمُ الْهُدَى"، ويَستخرِجُ من السياق المعروض أَصْلَهُ الثابتَ، ثم يُفرِّعُ عن ذلك الأصلِ فروعاً تُشَكِّلُ صُلْبَ الدراسة البيانية لمعرض القصة، فيَذكُرُ خصوصياته وإضافاته، وكثيرًا ما يناقش المفسرين الكبارَ فيما ذهبوا إليه مناقشةً أُسلوبيةً أو بَيانيةً أو مَقاصِديةً أو مَنْهَجِيةً، من مِثْلِ مناقشته لأبي حيان صاحب "البَحْرِ المحيط" بقوله: "وما ذَهب إليه المفسِّرُ الكبير غَيْرُ مُسَلَّمٍ مِن وُجوهٍ .." (8).

---

(8) مبارك العلمي: مرجع سابق ص 68

وبعدُ فإذا كان القرآنُ لا يُدرَك إعجازُه ولا رَوْعَةُ أدائه ولا فَحْوى خِطابه بمجرَّدِ الوَصْفِ الاستعجالي والحديثِ الاستعراضي، فإن هذه السلسلةَ القرآنية أيضاً لا يَسُدُّ فيها الوصفُ مَسَدَّ القراءةِ المباشِرةِ، ولا يُغني تقديمُها بكلمات سريعات عن الاطلاع الفاحص والمتابَعةِ الواعية، فالأسلوبُ الذي كُتِبَت به له خصوصيتُه أيضاً، ومَنهَجُ التفكير والاستدلال والإقناع له أَثَرُه، مما يَقتضي ضرورةَ الاتصالِ المباشِرِ مع النص المؤلَّف، لمعرفة مَقاصِدِ النص المنَزَّل، في نموذجٍ منه هو قِصَصُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومعرفةِ الأستاذِ الباحثِ من خلال فِكرِه وفَهمِه ومَنهجِه، ومعرفةِ نظْرتِه إلى القَصص القرآني وحُكمِه على فنٍّ هو أَرْقَى فنون الكتابةِ على الإطلاقِ.

قصة آدم وتكريم الله للإنسان

قال تعالى :

"وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً، قالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَن يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى المَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئوني بِأَسْماءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. قالوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلَّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ. قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ، فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ ما تُبْدونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمونَ. وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدوا لِآدَمَ فَسَجَدوا، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الكافِرِينَ. وَقُلْنا يا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما، وَلا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونا مِنَ الظّالِمِينَ. فَأَزَلَّهُما الشَّيْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا كانا فِيهِ، وَقُلْنا اهْبِطوا، بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ، وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ. فَتَلَقّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ، إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ. قُلْنا اهْبِطوا مِنْها جَمِيعاً، فَإِمّا يَأْتِيَنَّكُم مِنّي هُدىً فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ. وَالَّذِينَ كَفَروا وَكَذَّبوا بِآياتِنا أُولَئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فِيها خالِدونَ" [سورة البقرة 2/29-38]

* القصة في القرآن الكريم هادفة :

القرآن كتاب دعوة ودستور نظام ومنهاج حياة، وليس كتاب قصص وروايات ولا كتاب تسلية ولا كتاب تأريخ وعلوم. والقصة سرد أخبار وروايات وأحداث ووقائع لغايات معينة وأهداف مخصوصة. وقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من أخبار الماضين من الرسل والأنبياء والأمم والبلدان والأحداث؛ وتتبعت بعض سوره وآياته آثار أقوام أو أشخاص وحكت عنهم صورا ناطقة معبرة عما كانوا عليه وما جرى لهم من أحداث وتقلبات.

والقصة في القرآن الكريم عميقة الأبعاد بعيدة الدلالات، لا يستطيع أن يسبر أغوارها ويبعد في عمقها ويستكشف دلالاتها إلا من يحسن قراءة القرآن، ويحسن الانفتاح على القرآن، ويحسن التدبر لفهم القرآن، ويحسن التهيؤ النفسي والإيماني للتأثر المباشر والاستجابة الفورية والتنفيذ العملي، سواء بالمبادرة إلى امتثال الأوامر بالطاعات والواجبات، أو بالمنافرة عن النواهي والمحرمات، أو بالمسارعة إلى دعوات البر والخير والمكرمات؛ فعند هذا النموذج وحده تتحقق الأبعاد الإيمانية والنفسية للقرآن عامة، وللقصص القرآني خاصة: "**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ، وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى، أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ**"(1)

وترتبط قصص القرآن في مجملها بأهداف معينة منها ما هو عام يعتبر من غايات القصة بصفة عامة، ومنها ما هو خاص له تعلق مباشر بالقصة المعروضة ذاتها، وإذا تكررت القصة في القرآن أو تعددت معارضها تنوعت غاياتها واختلفت أهدافها.

---

(1) سورة فصلت43/41

* مقاصد القَصَص القرآني :

المقاصد هي الغايات والأهداف التي من أجلها وردت هذه القصة أو تلك في السياق القرآني الحكيم. ومقاصد القصص القرآني كثيرة متنوعة لكنها في عمومها تشكل منهجا ربانيا تربويا واضحا ومؤثرا، يستخرج من أساليب القصص القرآني نفسه ودلالاته، ويتضح لكل ذي ملكة قادرة على فهم ألفاظه وتذوق عباراته وإدراك معانيه. ويمكن إجمال هذه المقاصد في الأبعاد الستة التالية:

1- عرض قصة الدعوة إلى الله عز وجل، المتجذرة في التاريخ البشري، القائمة إلى آخر آماد الحيـــاة، وتوضيح منهج الدعوة الرشيد، كما في قصص موسى وإبراهيم، ومعظم قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتصوير الاستجابات والمواقف البشرية من هذه الدعوة عبر الأجيال والأحداث،

2- عرض لطبيعة الإيمان القوية في نفوس هذه النخبة المختارة من البشر ، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم، ولطبيعة ممارساتهم العبادية وتجليات أثر الاصطفاء في ترسيخ العلاقة بينهم وبين ربهم الذي انتدبهم لهذه المهمة العسيرة المضنية الجسيمة كما في قصص الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وعرض لمواكب الإيمان في رحلتها الطويلة الممتدة عبر الأزمان، المتواصلة عبر الأحداث، المتنوعة عبر الأشخاص، كما في قصص أهل الكهف وأصحاب الأخدود .. وتنبيه لمظاهر تثبيت الإيمان وتقويته، وترسيخ العقيدة الصحيحة في النفوس كما في قصتي آل عمران وأصحاب الجنتين.

3 – إثبات صدق نبوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبيان أصول الشريعة التي بعث الله بها أنبياءه عليهم السلام، وختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه صلى الله عليه وسلم وقلوب المؤمنين معه.

4 – أخذ العبر والمواعظ من المواقف والأحداث: مثل قصة سليمان مع بلقيس، وقصة قارون في قومه.

5 – التربية والتعليم والتوجيه: مثل قصة موسى مع الخضر وقصة لقمان

6 – الإعجاز البياني والمعنوي للقرآن الكريم من حيث التعبير والتفكير والبيان، ومن حيث إثبات ربانيته بما يحكيه من قصصٍ وأخبارٍ ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعرفها أو يحكيها لولا أن الله عز وجل قد أوحى له بها وبما لابسها من الأحداث والأخبار والمواقف والعبر.

دلالات قصة آدم في سورة البقرة [2/29-38]:

تستعرض هذه الآيات الكريمات موكب الحياة، موكب الوجود كله، ومشهد الأرض التي خلق الله، وجعلها سبحانه وتعالى من آلائه على الناس، وسخر كل ما فيها لهم ومهده. وتتخذ ذلك مدخلا للحديث عن بني إسرائيل الذين استخلفهم الله في الأرض بعهد منه ، ثم عزلهم عن هذه الخلافة وسلم مقاليدها للأمة المسلمة الوافية بعهد الله. فتبين أن المشيئة العليا أرادت تسليم زمام هذه الأرض لهذا الكائن الجديد في الوجود وإطلاق يده فيها؛ وتؤكد أن هنالك وحدة أو تناسقا بين النواميس التي تحكم الأرض وتحكم الكون كله، وبين النواميس التي تحكم هذا المخلوق وقواه وطاقاته، كي لا يقع التصادم بين هذه النواميس وتلك؛ وتخبر أن الله عز وجل قد أودع هذا المخلوق، وهو يسلمه مقاليد الخلافة، سرا إلهيا عظيما هو سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات، أما الملائكة فلا حاجة بهم لهذه الخاصية لأنه لا ضرورة لها في وظيفتهم، ومن ثم لم توهب لهم.

* تكريم الله للإنسان :

تُجلي هذه الآيات الكريمات ما خص الله عز وجل به آدم أبي البشر ورمز الإنسانية عليه السلام من المكرمات الهامة المتميزة وتنبه إلى عظم منزلة الإنسان في نظام الوجودعلى هذه الأرض الفسيحة، منزلة التكريم:

- فقد خلقه سبحانه وتعالى بيده، خلقه في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه.

- وعلمه الأسماء كلها فوهبه بذلك سر المعرفة وسر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق بعلم وحرية ومسؤولية، حتى يضطلع بأمانة الهداية إلى الله بمحاولاته الخاصة وجهوده الفكرية وعلومه الممنوحة.

- وأمر الملائكة الكرام البررة المقربين أن يسجدوا له سجود تكريم لا سجود عبادة، لأن الله لا يأمر أحدا أن يتوجه بالعبادة إلى سواه؛ والسجود في اللغة: تذلل مع انخفاض بانحناء وغيره، وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض عبادة لله تعالى وخنوعا وخضوعا؛ وقد استعمل في قصة آدم بمعنى التكريم لا العبادة: إنه سجود تحية وسلام وإكرام، والمعنى هنا أن الله عز وجل أمر الملائكة أن يحيوا آدم ويكرموه بالانحناء له، فامتثلوا لأمره إلا إبليس الذي تمرد وعصى وامتنع من السجود؛ وكان السجود بهذا المعنى مشروعا في الأمم الماضية: فقد استعمل به في قصة يوسف عليه السلام "**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً**"، لكنه نسخ في ملتنا.

- وأمر الله آدم أن يسكن الجنة مع زوجته، وأباح لهما أن يأكلا مما يشتهيانه من ثمرها، وأن يتمتعا بكل شيء فيها، ولم ينههما إلا عن شجرة واحدة أن يقرباها أو يذوقا من ثمرها، وحذرهما إن فعلا ذلك أن يظلما نفسيهما بمخالفة أمر الله ربهما، ويترتب على ذلك ما يترتب على مخالفة أمر الخالق الباري من العقوبة.

* استخلاف آدم في الأرض :

مما ذكروا من معاني الاستخلاف، أن يخلف الإنسان بعضه بعضا على سطح الأرض، لأن من خصائص هذا المخلوق التناسل والتخالف، وآدم الذي هو الإنسان الأول مخلوف بذرية تخلفه من بعده وهذه الذرية تخلفها ذريات .. كلما مات جيل خلفه جيل آخر؛ ومعلوم أن الله عز وجل لم يخلق البشر كلهم دفعة واحدة في وقت واحد.

لكن المفسرين ذكروا في تأويل الآية من سورة البقرة -رواية عن ابن مسعود وابن عباس- أن الله عز وجل أخبر أنه جاعل في الأرض خليفة منه يخلفه في الحكم بين خلقه، وهذا الخليفة هو آدم ومن يقوم مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين الخلق.(2)

فالاستخلاف بهذا المعنى أن يكون آدم ومِن بعده الأنبياء والرسل عليهم السلام، ومن يستلمون الأمانة منهم بعدهم يمثلون حكم الله وشريعته في خلقه يحكمون بين المفسدين منهم بحكم الله، فسيكون فيهم من يفسد فـــي

---

(2) الطبري. ويذهب أحد مفكري الإسلام المعاصرين وهو الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني، إلى أنه لا يصح أن يقال: "خليفة الله في أرضه" فهي على رأيه مقولة باطلة لأنها تتعارض مع أسس مفاهيم العقيدة الإسلامية، لأن الاستخلاف في نظره يتضمن معاني التفويض والتوكيل في الخلق وفي الحكم وفي التصرف، وكل هذه الأمور لا تصح ولا تصلح أبدا أن تفوض للمخلوق وإنما هي لله وحده، والإنسان عاجز عن أن يحسن القيام بها عن ربه تعالى. وفرق بين أن يستخلف الله مخلوقا عنه في ملكه وبين أن يجعله خليفة عن مخلوق سابق من المخلوقات، كمن يرث المال عن أبيه فهو يخلفه فيه كما يخلفه في الأرض والمسكن .. وهو استخلاف ناشئ من الله عز وجل لأنه سبحانه هو المالك الحقيقي للكل، لكنه سبحانه وتعالى لم يستخلف أحدا في شيء: [الميداني، رسالة تذكير وتبصير: 4]

الأرض ويسفك الدماء ويعيث فيها!! "**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. قَالُوا: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا! قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**"(3)

والاستخلاف في الأرض قد يكون مؤيدا بالمعونات الربانية الخاصة، وهذا يكون للأمة المستخلفة إذا توافرت فيها شروط الاستخلاف، ويكون للحاكم إذا استقام على منهج النبوة؛ فحينئذ يجعل الله للأمة السلطة والريادة والخلافة، ويجعل منها الخلفاء المنفذين لحكم الله، القائمين على حدود الله، الذين يقودون البشرية إلى الخير والسعادة والهناء والنجاة من الخسران.

والنبي ﷺ هو الذي اختار للذين يتولون أمر المسلمين من بعده اسم (الخلفاء)، وسمى الواحد منهم (خليفة)، قال ﷺ: "**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، سيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أوفوا ببيعة الأول، ثم اعطوهم حقهم، واسألوا الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم**"(4)

وأطمع اللهُ سبحانه وتعالى، ورسولُه محمد ﷺ كلَّ المدعوين إلى الإيمان في أن يكونوا خلفاء الأرض، أي أصحاب الحكم والسلطان فيها خَلَفاً لذوي الحكم والسلطان القائمين، إذا هم حققوا الشروط المطلوبة: "**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ**

---

(3) سورة الأعراف 7/127-128

(4) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً؛ يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ"(5). فالله عز وجل يَعِدُ هنا المؤمنين بأن يجعلهم خلفاء في الأرض بتمكينهم من الحكم والسلطان فيها، وأن يجعلهم خَلَفاً لحكامها وسلاطينها وملوكها، وأن يجعلهم ذوي القوة العسكرية التي لا تدانيها قوة؛ ويشير سبحانه وتعالى إلى مدد المعونة الربانية الزائدة على نظام سنن الأسباب والمسببات: "**لاَ تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ، وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ، وَلَبِئْسَ المَصِيرُ**"(6)؛ وهدد سبحانه وتعالى قوما بأنهم إذا تولوا أهلكهم الله واستخلف غيرهم فجعلهم خلفاء لهم في سكنى الأرض التي هم فيها يرتعون: "**وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ، إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**"(7)؛ "**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئاً، إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**"(8)

ولقد مارست الأمة الإسلامية مهمة الخلافة ووظيفة الريادة للبشرية لما حفظت الدين ورعت حرماته والتزمت بمبادئه وحكمت به. وأطلق أولو الأمر فيها على أنفسهم لقب "خليفة الله"، أو "خليفة رسول الله" في العهود الأموية والعباسية وغيرها، ووجِّهت آيات الاستخلاف والإظهار في القـــرآن

---

(5) سورة النور53/24

(6) سورة النور55/24

(7) سورة الأنعام 134/6

(8) سورة هود 56/11

الكريم نحو مفهوم استخلاف المسلمين وهيمنة حكمهم على العالم بقيادة الخلفاء أمراء المؤمنين؛ إلى أن انحلت الأواصر بين الحكام والشرع، وبينهم وبين رهم، فخلف من بعدهم خلف ورثوا الأمجاد والسلطان .. ولم يحفظوا شروط الخلافة المعهود بها إليهم، لأنهم إنما كانوا أخذوا الخلافة بعهد رباني وشرط إيماني وتنفيذي، وزودوا بالوحي الذي يشتمل على المعرفة الضرورية واللازمة لمعالجة الآفات والخروج من المضائق وحفظ الثوابت؛ فلما نقضوا العهد وأضاعوا الثوابت واقتحموا الأهوال والآفات تخلوا عن العهد والخلافة فتخلت عنهم.

* *جناية الاستكبار :*

أول من جنى هذه الجناية إبليس اللعين، واسمه مشتق من الإبلاس بمعنى اليأس من رحمة الله، لم ينصرف لأنه معرفة، ولا نظير له في الأسماء، فشبه بالأعجمية. وقد امتنع إبليس من السجود لآدم استكبارا وعنادا، وسأله الله عز وجل — وهو أعلم — عن السبب الذي منعه من السجود وقد أمره الله به، فاحتج بأنه أفضل من آدم تكوينا، فهو قد خلق من نار، بينما آدم قد خلق من طين، والنار في رأيه أفضل من الطين .. عندئذ طرده الله من الجنة، ولعنه لعنة دائمة إلى يوم القيامة بسبب كبريائه، وطلب إبليس من الله إمهاله حيا إلى يوم القيامة فأجابه سبحانه وتعالى لذلك لحكمة هو أعلم بها.

* انطلاق المعركة بين الخير والشر :

سر إبليس اللعين لما نهى الله آدم عن الأكل من الشجرة، لأنه وجد في ذلك النهي منفذا ينفذ فيه إلى آدم وزوجته فأخذ يغريهما ليأكلا من ثمر تلك الشجرة، ليكون عاقبة ذلك كشف ما ستر وغطي من عوراتهما. وظهرت بوادر المعركة الخالدة بين الخير والشر، بين خليفة الشر في إبليس وخليفة الله في الأرض، المعركة التي ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه.

انطلقت المعركة في مجالها المقدر لها، بين الشيطان والإنسان، إلى آخر الزمان. والعاقل الذاكر يعلم أنها معركة قائمة لا تنتهي، وهي جارية بين عنصرين متناقضين:

- عنصر خلق منذ اللحظة الأولى للضلال والإضلال والغواية والإغواء،
- وعنصرخلق منذ اللحظة الأولى ليعمر الأرض ويستخلف فيها؛

أما تجربة الشجرة وإزلال الشيطان آدم وحواء، فكانت تربية لهذا الخليفة وإعدادا، وإيقاظا للقوى المذخورة في كيانه، وتدريبا له على تلقي الغواية ومواجهتها، وتجرع الندامة وتذوق عاقبة أمرها، ومعرفة العدو والاحتراز منه، والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين والاحتماء به.

القرآن الكريم والعلم والإيمان
أية علاقة ؟

[محاضرة ألقيت في المعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات (I..S.C.A.E) بالدار البيضاء]

[يوم الخميس17 شوال1419: 1998.02.24]



مدخل:

(1) التحدي الحضاري:

تعيش الأمة في هذا العصر تحديات خطيرة،وتعيش ظروفا حرجة يشعر الجميع بثقلها على القلوب والكواهل، ويشعر الجميع بالرغبة الملحة في الانسلاخ منها والتحرر من ربقتها، باعتبارها قيودا تعيق تحرك الأمة الإسلامية مجتمَعاتٍ ودولاً وشعوباً وحكاماً، تقيدهم وتمنعهم من التحرر من هذه العبوديات الأرضية التي أراد الله تعالى أن يتحرر الإنسان منها وأن يقتصر في عبوديته على عبودية واحدة هي العبودية لله وحده لا لغيره.

فأما التحديات فلها مظاهر، وأسباب، ونتائج، ووسائل علاج:

فمن أبرز مظاهر التحدي الحضاري وأخطرها مظهران خبيثان خطيران أولهما (العولمة) تلك الظاهرة التي لا تعدو أن تكون هيمنة استعمارية جديدة، وتبريرا للقهر الذي تمارسه الدول الاستعمارية المستكبرة على الدول المستضعفة، سواء غلف هذا التسلط بهذا الغلاف أو غطي بذلك الغطاء! (1)

---

(1) عن العولمة انظر: العولمة والهوية، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ماي 1997؛

– تحديات العولمة، كلاوس شواب، مجلة "الأكاديمية"، عدد16سنة1999 ص176؛

– فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، هانس بيرفاريتش – هارالد شومان، ترجمة عدنان عباس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد238 أكتوبر1998

والثاني من مظاهر هذا التحدي الحضاري الذي تعيشه الشعوب الإسلامية، والتسلط الذي تعاني منه دول العالم هو الترعة الصهيونية العالمية التي تسعى إلى تسميم العالم من أجل اكتساحه وتحقيق السيطرة عليه. وقد نجحت الصهيونية بالفعل في السيطرة على معظم الحياة والمؤسسات الاقتصادية في كثير من دول العالم، ولكنها تحاول أكثر من ذلك أن تهيمن على المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية، وهذا ما يمكن اعتباره أشد خطرا من الاقتصاد الذي يعلم الجميع أن خيوطه بأيدٍ معينةٍ تسيره إما في السر والخفاء وإما في العلن والجلاء.(2)

ويلخص مبادئ الصهيونية كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون)، ففيه تتجلى أهداف الصهيونية والأغراض الخبيثة التي تسعى إلى تحقيقها، والوسائل الدنيئة والفاجرة التي تتخذها وتنهجها لخدمة تلك الأغراض.

وأما الأسباب فتعود في مجملها إلى ***عوامل داخلية*** ذاتية تتمثل في تخاذل المسلمين وضعف إيمانهم وبعدهم عن مقوماتهم وجهلهم أو غفلتهم عن حقيقة دينهم، كما تعود إلى سوء تدبير ولاة أمرها وانتشار الجهل والأمية وسوء استغلال الموارد البشرية والاقتصادية فيها وسوء توزيع الثروات ودبيب الضعف والوهن في أبنائها؛ وإلى ***عوامل خارجية*** تتمثل في الضغوط والمضايقات التي تمارسها الدول الغنية والمستكبرة على الشعوب الفقيرة والضعيفة، وفي التوجهات السياسية الدولية التي أضحت تتدخل في جميع الشؤون، بدعوى الشرعية الدولية التي أفرزها ما اصطلح عليه بالنظام العالمي الجديد..

---

(2) عن الصهيونية أنظر: موسوعة عبد الوهاب المسيري،

– حكومة العالم الخفية، شيريب سبيريدوفتش، ترجمة مامون سعيد، دار النفائس، طب.7 بيروت1986،

وبما نتج عن تلك العوامل: استضعاف وهوان وتخلف ولهاث خلف الآخر الموسوم بالمتطور أو الغني أو العظيم، الذي لا يمكن أن يدرك للسرعة الفائقة التي يسير بها الركب العلمي والحضاري لدى ذلك الآخر!

وأما وسائل العلاج من تلك الأحوال المزرية فقد تكفل الوحي المبين في القرآن، المبسوط عمليا في المنهج النبوي التطبيقي في السنة والسيرة، ببيانها ورسم معالمها الكبرى، وإعطاء المنهج العملي والسبيل القويم لإدراك مركز القيادة والريادة، وتحقيق السعادة الفردية والجماعية.

(2) شروط الإقــلاع :

والمفترض أن تكون تلك التحديات والأسباب والوسائل والمواقف والعوامل محفزات تدفع بهذه الأمة إلى البحث عن ذاتها واستكشاف معالمها ومقوماتها وأصالتها، باعتبارها أمة القرآن والإيمان، وأمة العلم والنظر والتبين، وأمة التحدي، وأمة الريادة. والريادة في المفهوم الحضاري لهذه الأمة لا تعني التسلط والقهر والسيطرة، وإنما تعني القيادة الرشيدة للركب الحضاري البشري في الميادين العلمية والفكرية والسياسية، الأمينة على مصلحته وسعادته.

هذه الأمة يفرض عليها ذلك التحدي أن تفكر تفكيرا جادا وتقتنع اقتناعا يقينيا بأن مواجهة هذا التحدي الحضاري لا يمكن أن تكون إلا بمشروع واضح ومحدد، وباستراتيجية مدروسة ومدققة لتنشئة الأجيال على العودة إلى المنطلقات الربانية الهادية إلى تكوين الإنسان الصالح، مع التركيز على الجانب العلمي والفكري فيه، مشفوعا بالميكانيزمات المرنة والمناهج العملية التنفيذية الكفيلة بإنزال الأفكار والنظريات والمخططات إلى أرض الواقع الفعلي؛ فذلك الذي يؤهل لتحقيق الإقلاع الحضاري المنشود.

(3) لا أحد يحتكر العلم والحضارة؟!

بالعلم استطاع الإنسان أن يطور أنواع النباتات والحيوانات وأن يحسّن إنتاجها كماً وكيفاً،وبالعلم صار الإنسان يفكر في تطوير نوع الإنسان نفسه(3)، وبالعلم طار الإنسان في آفاق السماء(4)، وبالعلم أرسل أجهزة الاستطلاع إلى أرجاء الفضاء وإلى الكواكب الأخرى القريبة والبعيدة، واكتشف غياهب الفضاء التي كانت مستعصية عليه، وبالعلم غاص في أعماق البحارالتي لم يكن يستطيع اقتحامها فيما سبق، وبالعلم حقق خطوات جبارة في الطب والفيزياء والكيمياء وعلوم الجيولوجيا أو البيولوجيا أو غير ذلك.

ولكن ينبغي أن لا يعزب عنا حقيقتان كبريان:

---

(3) نشير إلى ظاهرة الاستنساخ، وهو موضوع يشكل ظاهرة حديثة بالنظر إلى الضجة الصحفية التي ثارت بعد استنساخ النعجة (دوللي– dolly) في التسعينيات من القرن العشرين، والحقيقة أن الاستنساخ كان موجودا منذ سنوات قبل ذلك في عالم النباتات وفي الحيوانات، حيث طورت بسببه كثير من المزروعات وتوالدت، كما تناسلت أنواع من الحيوانات وربيت على نماذج مدروسة ومختارة في المختبرات والحقول العلمية، لكنهم أحدثوا ضجة بهذه النعجة المستنسخة، ومن المعلوم أنهم لم يعلنوا عنها إلا بعد ثمانية أشهر من استنساخها. وهل هناك تعارض بين هذا وبين الدين؟ مسألة لا نشتغل بها في هذا السياق، لكن المهم عندنا هو ما يمكن للإنسان أن يطور به حياته ومحاصيله ويحسن به ظروف معيشته ويسخر الكائنات لمصلحته: بالاستنساخ طورنا كثيرا من النباتات، وبالاستنساخ طورنا كثيرا من الحيوانات، وذلك كله في مصلحة الإنسان وخيره، وإذ قد وصلنا بالبحث العلمي إلى ما يمس حقيقة هذا الإنسان وكنهه وطبيعته، فينبغي أن نتوقف ونتريث ونتفكر ونتدبر، ثم نصدر الحكم بعد ذلك.

(4) يذكر التاريخ جيدا أن المسلمين هم أول من حاول الطيران في الفضاء، ولكن لما لم تكن لديهم الوسائل الممكنة، فقد كان على البشرية أن تنتظر تطوير الوسائل التي تيسر ذلك، فلما تهيأت الوسائل طار الإنسان.

الأولى أن المهمة الأساسية لهذا المخلوق، الذي هو الإنسان، في الكون، وهي الاستخلاف، إنما يستحقها مِن أجناس البشر والشعوب والدول مَن يقوى على الريادة ويثبت الجدارة علميا ومنهجيا وخلقيا أيضا.

والثانية أن ذلك التقدم الذي حصلته البشرية على امتداد وجودها لم يكن بفضل قوم دون قوم، ولا بجهود جيل دون جيل ، وإنما تحقق ذلك بتضافر جهود الأمم والأجيال عبر الحقب والأزمان، ومن ثمة فالنتائج المحصل عليها هي ملك لجميع الشعوب وحق لجميع البشر، وليس هناك أي مبرر لأي أحد أن يدعي امتلاك الفكر والحضارة فينسب لنفسه شيئا من ذلك، لأن ما وصل إليه الإنسان في مختلف مراحل التطور والتدرج الحضاري إنما هو حصيلة جهود بشرية متواصلة، وإسهامات إنسانية غائرة في عمق التاريخ البشري وموزعة على مراحله وأممه وشعوبه، ومن ثمة فإن الحضارة وفي أي مرحلة من مراحلها ليست بنت شخص معين، ولا بنت أمة من الأمم أو شعب من الشعوب، إنما الحضارة بنت البشرية جمعاء.

ولنا أن نمثل الحضارة بآنية بلورية، أو بشعلة متوهجة تتسلمها أمة من أمة، وكل أمة تكون بيدها هذه الآنية أو هذه الشعلة تنتسب الحضارة إليها:

ففي وقت ما كان اليونان هم الذين يمسكون بهذه الشعلة، فقيل إن العالم كان يعيش الحضارة اليونانية، وبعدهم استلمها الرومان فقيل إن العالم كان يعيش الحضارة الرومانية، وهكذا الأمر بالنسبة للأمم والشعوب الأخرى السابقة واللاحقة، مثل بابل وآشور والكلدان وسومر وتدمر وسبأ وغيرها(5) فكل هذه

---

(5) يلاحظ أن الأمم والشعوب العريقة في الحضارة كلها أمم وشعوب شرقية.

الأمم أضافت للحضارة الإنسانية ما أضافت، ولكل حضارة طابعها الذي طبعت به المسار الحضاري الإنساني. ولما استلم الشعلة المسلمون ساروا بها ما شاء الله لهم أن يسيروا، وأضافوا إليها ما توصلت إليه جهودهم، يشهد بذلك التاريخ، ويقر به الباحثون والمفكرون المنصفون من الشرق والغرب(6)، وصار العالم كله يعيش بنور شعلة الحضارة الإسلامية، إلى أن ضلوا الطريق وناموا، فأفاق الأوربيون واستغلوا ما حققته الحضارة الإسلامية في مختلف ميادين المعرفة، واستلموا منهم شعلة الحضارة، فصاروا يضيفون إليها، وصرنا نعيش اليوم ما يسمى بالحضارة الغربية، ولا ينبغي أن نجد في ذلك أي عيب، أو يركبنا منه أي مركب نقص، لكن العيب والنقص هو أن نأخذ هذه الحضارة الغربية بحذافيرها من غير نظر ولا تمحيص ولا اختيار لما يناسب بيئتنا ومجتمعنا ومقوماتنا، ورفض لما لا يناسب. وما يتوصل إليه الأمريكي والكندي، أو الألماني والإنجليزي، أو الياباني والصيني من نتائج هو ملك لكل البشر، ولا حق لعلماء أي بلد ولا لحكومته في احتكاره، لكن الغربيين عامة الذين يمسكون بأيديهم شعلة الحضارة الحالية يحتكرون النتائج العلمية وأسرار المخترعات من المعدات والأجهزة .. ولقد حاولت يوما أن أزور معهدا للبحث العلمي في (باريس)، فأخبرت أن المنطقة ممنوعة على الأجانب، ولا يسمح أن يدخلها بتاتا إلا للفرنسيين، أما غيرهم فإن طلبتهم مثلا يقبلون في المعهد للدراسة إلى السلك الثالث، وقد يسمح لهم بالمواصلة حتى يحرزوا على أعلى الشهادات، لكنهم إذا أرادوا أن يطلعوا على الوثائق الهامة لأجل التعمق في البحث العلمي فإن المجالات، من المكتبات

---

(6) ينظر مثلا: حضارة العرب للمستعرب الفرنسي غوستاف لوبون، وشمس العرب تسطع على الغرب للمستعربة الألمانية زيغريد هونكه، وغيرهما.

والمختبرات وأقسام الوثائق، لا تفتح على هذا المستوى إلا لأبناء فرنسا وحدهم، ولا حق لغيرهم في الاستفادة من شيء من ذلك، وكأن العلم حكر على قوم دون قوم، أو على جنس دون جنس!! هذا مع أن المسلمين حينما كانوا سادة العالم وقادته في العلم والحضارة كانوا منفتحين متسامحين، وكانوا يهدون العلم للآخرين، بل إنهم لما فتحوا بلاد الأندلس مثلا كان أول ما فعلوه أن أنشأوا المعاهد والمدارس، واستقدموا العلماء من كل مكان ليدرسوا العلم هنالك، وهكذا فعلوا في سائر البلدان التي فتحوها(7).

---

(7) نقول: فتحوها ولا نقول استعمروها، لأن هناك فرقا بين الفتح والاستعمار، على الأقل في اصطلاح الناس المستعمل فيه اللفظان؛ الفتح: نشر الخير والحضارة والفكر الرشيد والعلم النافع، وأما الاستعمار الحدبث فهو ينشر ما يريد ويترك ما لا يريد، وإذا شق المستعمر طريقا فإنما يشق الطريق الذي ينفعه هو ويستفيد منه، كما شقت فرنسا الطرق ونصبت خطوط السكة الحديدية من خريبكة إلى البيضاء ليسهل عليها استغلال خيرات المغرب من الفوسفاط بيسر وبأقل تكلفة، ولم تفكر جديا في إنشاء شبكة من السكك الحديدية واسعة إلا تحت ضغوط معينة.

الدين والعلم :

(1) مفاهيم ينبغي أن تحدد :

فـ***العلم*** المقصود هنا هو المعرفة الواسعة الممتدة عبرالآفاق الشاسعة للفكر الإنساني، المستوعبة للجوانب العملية والكونية والتأملية والتجريبية والسلوكية بجميع مكوناتها ومباحثها ومجالاتها، فكل ذلك يعتبر في النظر الشرعي حقلا معرفيا ضروريا لتحقيق خلافة الله في الأرض على النحو الرشيد.

و***الدين*** يقصد به المفهوم الإسلامي الرباني وليس المفاهيم الوضعية الأخرى، لأننا نتذكر جميعا أن الكنيسة في القرون الوسطى اتخذت منهجا انحرافيا ضالا جعل الناس يحاربون الدين لأنهم كانوا يعتبرون الكنيسة ممثلة له. أما المسجد في الإسلام فشيء آخر، له وظيفة فاعلة إيجابا في الإصلاح والتوجيه، وفي التثقيق والتكوين، وفي التربية والتهذيب. فإذا صح أن نقتدي بغيرنا في أمر، ففي غير النظر إلى الدين كمؤسسة يمثلها محضن متميز هو الكنيسة عند النصارى والمسجد عند المسلمين، لوجود الفارق بين المؤسستين، والخلاف بين المحضنين. وإذا كان علينا أن نحارب شيئا فلا نحارب المساجد ولا نحارب (رجال الدين)كما يسمون عند غيرنا، أو العلماء كما نسميهم نحن المسلمين، وإنما نحارب السلبيات التخلفية التي ترسبت في أذهان الناس وعوائدهم فصارت المجتمعات المعاصرة تعيش في وحل هذه الترسبات القاتلة.

(2) مسوغات التفكير العلمي وموجباته عند المسلمين:

والعلم عند أمة القرآن مقدم ومفضل ومأمور به لتحقيق أمرين اثنين:

الأول: هو تعميق البعد الإيماني في قلب الإنسان، داخل كيانه سواء كان هذا الإنسان فردا أو جماعة أو أمة، إذ بهذا البعد يتحقق الحس الإيماني ويتجذر في الفرد كفرد، وفي الجماعة الصغرى كالأسرة وما يحيط بها، وفي الأمة كلها حتى تستحق أن تكون أمة الريادة، وقد قدمنا أن الريادة في مفهومنا ليست بالتسلط والقهر، وإنما الريادة عندنا بالسيادة العلمية والسيادة الحضارية وبالكفاءة وبالقدرة الحضارية على قيادة البشر نحو الخير والرشد والسعادة.

والثاني: هو اكتساب القدرة على إبلاغ الخطاب الرباني للآخر وإقناعه بالحق والهدى والمعرفة؛ فنحن نتعلم أيضا لنقوى على المواجهة والمحاورة والتبليغ والإقناع،ولاكتساب القدرة علىالدعوة الصحيحة بصفائها ونقائها وعذوبتها، ولتحقيق التفاهم مع الناس على الحق والخير والسعادة، لأننا مكلفون بتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين، لا بالقهر والسيف كما يدعي ذلك المستشرقون والمغرضون، ولكن بالإقناع والمجادلة والمناقشة، وبالمحاورة والمناظرة والمحاجحة، وبالكتابة والتأليف، وباستعمال جميع وسائل الاتصال المختلفة والمتاحة، وأن نضع بين أيديهم الأدلة الملموسة والمحسوسة، والبراهين العقلية، والحجج الدامغة، والمعايير المقبولة التي تلزم الجميع: "**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**"(1) ذلك أن الحوار القائم على العلم والحكمة هو الذي يولد القناعة عند أصحاب الفكر السوي، أما الذي يتعصب لفكر معين لمجرد التعصب، ويضع على عينه غشاوة، فهذا لا يخضع للتعامل العلمي المقنع، ولا للتحاور العقلي المثمر.

---

(1) سورة النحل 125/16

(3) الإسلام يدعو إلى العلم ويحث على التعلم:

إن هذه الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم تعلقا بالعلم، وأحق من غيرها به، وأجدر أن تكون شعلة المعرفة بيدها؛ ولسنا أمة الجهل، لأن ديننا يدعونا إلى التعلم والتفكر والتأمل وإعمال العقل والنظر، بينما نرى كل الأمم وكل الحضارات وكل الديانات بما فيها الديانات السماوية السابقة(2) لا نجد في مبادئها وأولياتها شيئا يحث الناس على القراءة والتعلم، ويدعو إلى التفكر والتأمل؛ أما الإسلام فأول ما نزل فيه لم يكن أمرا بطقوس تعبدية ولا بتكاليف تدينية، وإنما نزل أمر صريح بالقراءة وحديث واضح عن العلم وأدواته والترغيب فيه: **"إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ"**(3). فهذه الآيات الخمس الأولى التي نزلت من القرآن الكريم كلها تدل على أن الإسلام يعتبر العلم أساسا للتدين ومنطلقا للاهتداء وأساسا للمعرفة، معرفة الله المعبود، والتوصل إلى إدراك أحقيته سبحانه وتعالى بالعبادة، لأنه مبدع الكون والكائنات وخالق الإنسان وسائرالمخلوقات، ولأنه سبحانه هو العالِم الذي يهب العلم لمن يشاء بإذنه وإرادته وبما سخره للإنسان من أدوات ووسائل وقدرات على اكتساب المعرفة وتوظيفها لخيره ومصلحته وتوسيع دائرة فكره .

---

(2) نستعمل الديانات هنا بصيغة الجمع تجوزا، لأنه من المعلوم أن الدين واحد أرسل الله به رسله أجمعين متعاقبين تجديدا وتكميلا لرسالة التوحيد منذ آدم عليه السلام وإلى أن أكمل الله دينه برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ.

(3) سورة العلق 96/1-5.

وفي القرآن كتاب هذه الأمة ودستورها كثير من الآيات التي تدعو إلى النظر والتفكر، وتحث على العلم والتعلم، وتفتح آفاق البحث والنظر، وتنبه المسلم إلى ما حوله من الكائنات وتلفت نظره إليها كي يسبر أغوارها ويعرف طبائعها ويكتشف أسرارها. يقول سبحانه وتعالى: **"وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً"**(4)، **"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ. إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبابِ"**(5)، **"يَرْفَع اللهُ الذينَ آمَنوا مِنْكُمْ والذينَ أُتوا العِلْمَ دَرَجاتٍ"**(6)

غير أن الكثير من القارئين يمرون بهذه الآيات وأشباهها مرا سريعا، وأما الذين آتاهم الله فكرا ثاقبا ومنهجا دقيقا، فإنهم يقفون عندها متأملين متدبرين مستحضرين أنهم مأمورون بالتعلم مرَغَّبون فيه مأجورون عليه.

ومجالات العلم والمعرفة والنظر والتأمل كثيرة: من الكائنات الكاملة في صورها الظاهرة، إلى الأجهزة المكونة للأجسام الحية، إلى الحب والنوى تامة مصونة، إلى الجزيئات المنشطرة عن الحب والنوى وانقسامهما، إلى ظاهرتي الظلام والضياء، إلى حركات الشمس والأرض والقمر والكواكب والنجوم وأثرها في تعاقب الليل والنهار، والضياء والظلام، وتوالي فصول السنة، إلى أوضاع النجوم والكواكب وأدوارها، إلى طبيعة الإنسان نفسه وحقيقة تكوينه، والنبات وتنوعه وطرق سقيه، والحيوان ومنافعه، إلى ما الله أعلم به مما يمكن للإنسان أن يهتدي إليه بالتأمل والتدبر والتفكر، أو يخترعه بالعلم والتجريب، أو يكتشفه بالبحث والتنقيب..

- **"أَوَلَمْ يَرَ الَّذينَ كَفَروا أَنَّ السَّمواتِ والأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما، وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، أَفَلا يُؤْمِنون ؟! وَجَعَلْنا في الأَرْضِ رَواسِيَ**

---

(4) سورة طه 111/20. (5) سورة الزمر10/39 (6) سورة المجادلة11/58.

أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ، وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ، وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ. وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"(6م)

"إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ، ذَلِكُمُ اللهُ، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ. فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ. وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ، قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ"(7)

نلاحظ أن الوحي يقول "**قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ**" مرة "**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**"، ومرة "**لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**"، ويقول في غير هذه الآيات: "**لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**"،حيث يقترن في القرآن الحث على المعرفة والاطلاع والنظربالترغيب في العلم والتفقه واليقين.

والأحاديث النبوية كذلك حثت كثيرا على الأخذ والتلقي والتعلم والتثقيف وحضور مجالس العلم:

ففي حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: "**ياأباذرّ! لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ آيةً مِنْ كتاب الله خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مائَةَ رَكْعَة، ولَأَنْ تَغْدُوَ فَتَتَعَلَّمَ باباً مِنَ الْعِلْمِ، عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ**"(8) وهل ينفع القرآن إلا بالعلم؟ استفهام يقول عنه البلاغيون إنه استفهام إنكاري، والمعنى: أن القرآن لا ينفع حامله إن لم يكن لديه علم يمكنه من حسن فهمه وتطبيقه وتبليغه !

(6م) سورة الأنبياء30/21-33. (7) سورة الأنعام 96/6-99

(8) أخرجه ابن ماجة في السنن 79/1 الحديث 219 وابن حنبل في المسند 154/4.

وفي الحديث الآخريقول رسول الله ﷺ: **"الْكَلِمَةُ الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمؤمِنِ، أَنَّى وَجَدها فَهُوَ أَحَقٌّ بِها"**(9)؛ لهذا قلنا إن الحضارة ليست ملكا لأحد، والعلم جزء من الحضارة، فهو ملك لجميع البشرية ولكل البشر الحق فيه، سواء كان عند الصينيين أوعند الأمريكيين أو عند السكاندينافيين أو عند الإفريقيين .. أينما كان العلم أي الحكمة إذا وجدها المسلم فهو أحق بها من غيره، لأن المسلم هو المطالب بأن يكون أعلم الناس، وهو المطالب بأن يكون رائدا للبشرية بالعلم وبالمعرفة وبالحكمة.

فانظركيف يحث رسول الله ﷺ على طلب العلم تدرك أن الإسلام دين العلم،ودين القراءة، ودين الفكر، ودين النظر؛ وأن من واجب المسلمين اليوم وفي كل زمان أن يأخذوا العلوم أينما نشأت أو تطورت، ولا مجال في هذه الأمة للجهل أو الانغلاق دون الأمم وثقافاتها، أو الانعزال عن الشعوب وفكرها أو معاداة العلوم وأصحابها؛ والذي يتقوقع أو ينغلق، أو يدعو إلى الانعزال أو يرفض الأخذ عن الآخرين إنما يخالف مبادئ الدين ويسهم في جمود الفكر وتحجره.

وبمنطق المثاقفة ومنهج التفاعل مع العلوم والأمم تصدى المسلمون الأولون للمنطق اليوناني، ولحكمة الهند، ولغير ذلك من العلوم والثقافات، فاستفادوا منها واستثمروها في ثقافاتهم بعد أن تسلحوا بعقيدتهم التي تدفعهم إلى التفتح والتأقلم، وإلى العلم والتعلم. ذلك لأن المسلمين مأمورون بالنظر والتأمل والتدبر فيما حولهم من الكون والكائنات: في أنفسهم، وفي الظواهر الكونية المختلفة، وفي الأرض من تحت أرجلهم، وفي السماء من فوق رؤوسهم.

---

(9)حديث رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(4) بين العلم والدين في الإسلام تكامل لا تنافر :

العلاقة بين العلم والدين عندنا تختلف تماما عنها عند الآخرين لأن العلم عندنا ليس جزءا مكملا للدين فحسب، بل هو منطلق الدين ومنطلق العقيدة ومنطلق التعبد، و(إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ عَنْ عِلْمٍ)، هذه قالة مسلَّمة عندنا؛ وليست العلاقة بين العلم والدين عندنا علاقة جدلية بل هي علاقة تكاملية. بمعنى أن التعلم يؤسس للتدين، وصحيح التدين ينبني على حسن التعلم، ولا يعقل في ملتنا وفي شرعنا أن يصلي أحد – مثلا – وهو يجهل معنى الصلاة ويجهل روح الصلاة ويجهل حكمة الصلاة ويجهل غاية الصلاة، وإلا فصلاته ناقصة؛ وقُلْ مثلَ ذلك في عقيدة التوحيد وفي عبادات الزكاة والصيام والحج؛ فقد قال النبي ﷺ: **"كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِه إِلاَّ الْجُوعُ، وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ"**(10)، وقال في حديث آخر: **"مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"**.(11)

إذن فالعبادة عندنا ليست قائمة على مجرد الامتثال الشكلي الظاهري للأوامر الشرعية، وإنما هي ضرورة قائمة على الاقتناع والاعتقاد الباطني قبل القيام بالأعمال الظاهرة؛ والاقتناع لا يكون إلا بالعلم، والامتثال الناجم عن الاقتناع يكون تلقائيا.

---

(10) أخرجه الإمام أحمد، عن أبي هريرة.

(11) أخرجه الإمام البخاري وأحمد وغيرهما عن أبي هريرة.

(5) اشتمال الوحي على إشارات علمية :

تشتمل آيات الذكر الحكيم، وكذا بعض نصوص الحديث الشريف إشارات علمية في غاية الدقة والصحة، وتشتمل كذلك على بعض أخبار الماضين والغابرين ممن لم يكن يعرف عنهم رسول الله ﷺ شيئا حتى أوحى الله به إليه، وتشتمل على بعض التنبؤات بما سيحدث في المستقبل، وذلك داخل في إعجاز القرآن الكريم.

والذي يتصل بموضوعنا هو الإشارات العلمية لا التاريخية ولا التنبؤ بما سيحدث في المستقبل؛ ولكن لا بأس بالتمثيل لذلك، ثم نشير إلى بعض تجليات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، واشتماله على بعض الحقائق التي أثبتها العلم التجريبي أو ما تزال تنتظر التطور العلمي لكي يدركها الناس بالوسائل البشرية.

فمن الإشارات القرآنية إلى ما سيحدث للناس، الخَبَرُ عن بني إسرائيل وطغيانهم وإفسادهم في الأرض حيث تحدث القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى: "**وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً. فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ. وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً. ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ. وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها. فَإِذا جاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيراً**"(12)

---

(12) سورة الإسراء 17 / 4 – 7.

فسر العلماء ذلك بأن بني إسرائيل كانت لهم مواقف في التاريخ مخزية، وأنهم استطاعوا أن يعلوا في التاريخ مرة فتكونت لهم مملكةواسعة عريضة، ثم يأتي الله سبحانه وتعالى بما يقضي عليهم، ثم تأتي لهم الصولة كرة أخرى فيعلون في الأرض، ولكن يسلط الله عليهم من يقضي عليهم فيما بعد؛ يقول العلماء إن المرة الأولى مرت، فقد أسسوا في وقت مضى مملكة واسعة، ولكن الله سلط عليهم القائد (بختنصر)، أو (نبوخذنصر).

وأنباء الأرض والسماء الواردة في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف أيضاًصارت تتضح لنا في عصر الاكتشافات والاختراعات، وقد أقر بكثير من تلك الحقائق معظم الباحثين والعلماء من غير المسلمين، بل إن بعضهم اعتنق الإسلام بسبب اطلاعه على الآيات التي تتحدث في بعض الحقائق العلمية التي لم تعرف إلا في العصور الحديثة والمتأخرة عن نزول القرآن. وقد وعد الله عز وجل عباده بأن يكون لهم مستوى حضاري يمكنهم من إدراك آيات الله في الكون، أي حقائقه وقوانينه، وبأن يكونوا سادة الكون، بأيديهم تطبيق شرع الله في خلقه، وذلك حتى يتبين لهم الحق وتقام عليهم الحجة: "**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**"(13)، والآفاق تشمل الكون من حول الإنسان في الأرض والسماء، وتشمل مجالات الإنسان ومكوناته وطاقاته وإمكاناته الفكرية وأجهزة جسمه، وتشمل سائر مخلوقات الله في الأرض وفي السماء .

---

(13) سورة فصلت52/41.

وتجمع بعض آيات القرآن الكريم كثيرا من الظواهر الكونية وجوانب الحياة الإنسانية والطبيعية في سياق واحد، فتتكلم عن السموات والأرض وهما حقيقتان كونيتان، ثم عن الإنسان وهو سيد الكائنات وأرقاها، ثم عن الأنعام وخلقها ومزاياها وقد سخرها الله تعالى لمصلحة الإنسان، ثم عن الحيوانات التي كان الإنسان يركبها لتنقله ويقتات بها لحفظ حياته، ثم ترك المجال مفتوحا لما قد يبتكره الإنسان ويخترعه من وسائل النقل الأخرى ما ظهر منها اليوم وما لم يظهر بعد: "**خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ، تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ. وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ. وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ. وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً، وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**"(14) ففي آخر هذه الآيات قوله تعالى: "**وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**"، وهي إشارة قرآنية إلى أن البشرية لم يتوقف سيرها المعرفي ولن يتوقف عند حد ما دام للإنسان عقل يفكر به وعلم يسخره وهم للبحث والنظر يشغله؛ فالبشرية ما زالت مهيأة لاكتشاف أدوات واختراع وسائل أخرى الله أعلم بها.

والإعجاز العلمي في القرآن الكريم هو إخباره بحقيقة أثبتها العلم التجريبي وثبت عدم إدراكها بالوسائل البشرية، كان ذلك في زمن الرسول ﷺ مما قد يظهر صدقة فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى.

---

(14) سورة النحل 16/3-8

لكن لكي نفكر في القرآن الكريم بالمنهج العلمي هنالك شروط وضوابط نعرضها بإيجاز:

فالمسلمون الأوائل بقدراتهم المحدودة ومستواهم البسيط هرعوا إلى الوحي وأقبلوا على دعوة الله عز وجل إلى الفكر والنظر، فانفتحوا على الثقافات، وأخذوا علوم السابقين من اليونان والفرس والهند والرومان ثم طوروها ووظفوها وتقدموا بها أماما؛ وحاولوا أن يطبقوا قول الله تعالى: "**وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ المَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ، أَفَلا يَشْكُرُونَ**"(15)، طبقوا هذه الآية وصاروا يبحثون في الأرض وينقبون، ويزرعون ويحصدون. وطبقوا قوله عز وجل: "**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ؟ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً**"(16)؛ وتساءلوا: لما ذا لا يتفكرون في أنفسهم؟ وفهموا أنه سبحانه يأمر هذا الإنسان بأن يفكر في نفسه: ما تكوينه؟ وكيف يتكون؟ ومم يتكون؟ وأن يفكر فيما حوله من الكائنات والفضاءات: ما سبب وجودها؟ وما الهدف منها؟ وكيف يستغلها لمنفعته وخيره وقوته؟

---

(15) سورة يس 36 / 22– 24.

(16) سورة الروم 7/33.

القرآن والعلم:

1 - القرآن كتاب هداية وتشريع وليس كتاب علم وتجريد:

القرآن الكريم آخر كتاب سماوي أوحى الله عز وجل به إلى عباده، وهو كتاب هداية ورحمة وبيان للحق وطريقه والخير ومنهاجه، وكتاب تشريع وتوجيه ونظام، يتناول حياة الفرد والجماعة في المبادئ الكبرى الأساسية من حيث العقيدة والعبادة والمعاملات الإنسانية والحياة اليومية والعلاقات بين الأفراد والجماعات والدول؛ وليس كتاب علم ومعرفة مجردة.

غايته تحصيل المعرفة بالدين، وتحقيق الاستجابة والتنفيذ، وتطبيق العبادة والشرع عن طريق التأمل والفهم والممارسة الإيمانية والعملية.

وتعتبر مجرد تلاوة القرآن الكريم عبادة، على خلاف الكتب السماوية الأخرى التي لا يتعبد بشيء منها أبدا، ولا يطبق من شرائعها إلا ما أقره القرآن بحكم مبدأ النسخ الذي اطرد في شرائع الله السابقة حيث كل شريعة آتية تنسخ الشريعة السابقة. فإذا أخذ المرء مصحفا وقرأ منه، أو تلا أحد من محفوظه من القرآن شيئا، أو حتى إذا سمع غيره يقرأ القرآن وأنصت بجوارحه فإن كل واحد من هؤلاء يكون في عبادة كأنه يصلي نافلة أو يصوم تطوعا، لكن ذلك إنما يتحقق ويعتبر بشروط معينة(1)، وخير ما قيل في القرآن وصفا له وتعريفا به قول النبي ﷺ في حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: **"هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ"**(2)،

---

(1) راجع ص:23وما بعدها.

(2) أخرجه الإمام الترمذي

وقوله ﷺ في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: "**إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَاقْبَلُوا مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ وَالنُّورُ الْمَتِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لاَ يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلاَ يَخْلَقُ مِنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ**"(3).

ولقد يسره الله سبحانه وتعالى لمن فتح قلبه له: "**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**"(4)، "**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**"(5)، "**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**"(6)؛ والدعوات في القرآن كثيرة إلى تأمله وتدبر معانيه، وإلى إعمال الفكر والنظر فيه من أجل فهمه وتسهيل تطبيقه وتنفيذ توجيهاته وتشريعاته.

لكن فهم القرآن وإدراك أبعاده ودلالاته ليس في متناول الجميع، فالله الذي أنزل القرآن أخبر أنه "**فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**"(7)

كما نص سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على أن هناك أشياء اختص الله بعلمها ولم يكتب علمها علما كاملا دقيقا لمخلوق، مثل لحظة قيام الساعة، وموعد نزول المطر ومكانه ، وحقائق الأجنة وما ستكون عليه

---

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك.

(4) سورة القمر17/54.

(5) سورة ص 38/38.

(6) سورة النحل 44/16

(7) سورة آل عمران7/3.

من الشقاء أو السعادة والعسر أو اليسر والفلاح أو الخسران، ومقادير الأرزاق، ونهاية حياة كل إنسان: "**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَا ذَا تَكْسِبُ غَداً، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**"(8)

فمتى تنتهي الحياة على هذا الكون؟ ومتى تقوم الساعة ويتوقف نبض الحياة؟ "**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ،لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**"(9)

ومتى يموت الإنسان؟ وهل يملك إيقاف حياته؟ أم هل يستطيع مد أجله إلى موعد يرتضيه؟ "**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**"(10) كم من مريض بقي في غيبوبة مطلقة سنين عديدة لا هو ميت فيريح ويستريح، ولا هو حي يتحرك بإرادة وحرية! وكم من صحيح سليم معتد بقدراته، تفاجئه حالة عاجلة تودي بحياته على غير توقع ولا ترقب !

والأرزاق كذلك الله أعلم بمقاديرها ومستحقيها وطرق اكتسابها ! فالله "**هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ**"(11) ، "**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**"(12)

---

(8) سورة لقمان33/31.

(9) سورة الأعراف 187/7.

(10) سورة النحل 61/16، وانظر سورة الأعراف 32/7

(11) سورة الذاريات58/51

(12) سورة الطلاق2/65-3.

والأمطار المخصبة للأرض المنعشة للحياة تترل بمشيئة الله سبحانه، ولا دخل للبشر فيها على الرغم من المحاولات التي بذلها الإنسان للتحكم فيها: "**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ،إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**"(13) "**أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ، بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ**".(14)

ويصرح القرآن الكريم في موضع آخر باحتجاب بعض المغيبات عن الإدراك البشري لتأكيد صدق الوحي وعجز الإنسان أمام القدرة الربانية والعلم المطلق: "**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**"(15)، فمهما حاول الإنسان، ولطالما حاول، أن يعرف حقيقة الروح وكنهها ومستقرها، فإنه لن يستطيع أن يدرك من ذلك شيئا، وتبقى حقيقة الروح في علم الله المطلق خاصة؛ ولكن الله عز وجل أمرنا بأن نحافظ على حياتنا، لأنها ليست ملكا لنا وإنما هي ملك لله واهبها، ثم للجماعة التي نحيا معها، وليس لنا الحق شرعا وقانونا في أن نضع حدا لها.

وقد يتبادر إلى الذهن أن الإنسان حر في حياته، ولكن هيهات! فالله عز وجل هو واهب الحياة للأحياء، وهو المالك لشأنها إيجادا وإعداما. نعم نستطيع أن نمتلك شيئا أو لا نمتلكه، ولكنا لا نمتلك الحياة الملك التام، إنما نملك صرفها وتوجيهها واستغلالها حسب ما هو مقرر في علم العقيدة من الحريات التي تجري وفق الإرادة الإلهية والمشيئة الربانية المتعلقة بعلمه سبحانه وتعالى بالأحداث والاختيارات والماجريات، ثم تقديره للأمور وفق ما سبق في علمه الأزلي ..

---

(13) سورة النور24/43-44

(14) سورة الملك21/67.

(15) سورة الإسراء85/17

2 - إعجاز القرآن الكريم :

والقرآن معجزة من أعظم المعجزات، أوحى الله به لبيان دينه الكامل، وشرعه الخاتم، وتأييد رسالة خاتم أنبيائه وإمام رسله. إنه معجزة ربانية، تحدى الناس أجمعين بأسلوبه ومعانيه، وبموضوعاته ومضامينه، أن يأتوا بمثله فما استطاع أحد أن يقاربه أو يدانيه!!

ولإعجازه نواح متعددة لا ناحية واحدة. حقا إنه نزل بلسان عربي مبين ونزل في قوم برعوا في الفصاحة والبيان فكانت المرتبة الأولى أو الجهة الأولى من إعجازه هي الفصاحة والبيان وبلاغة الأسلوب وبراعة الأداء؛ ولكنا مع ذلك نجد في القرآن الكريم جوانب أخرى للإعجاز بما يشتمل عليه من الدلالات العلمية المتنوعة، فكان من مظاهر إعجازه اشتماله على كثير من التنبيهات العلمية لمن شاء أن يتعظ أو يتوسع أو يمعن النظر من حوله لغاية المعرفة، ثم اليقين، ثم الإيمان.

وفي القرآن الكريم قواعد علمية شرعية ثابتة يجب على كافة الناس أن يعلموها وأن يفهموها كأحكام الدين والأحكام الشرعية المنظمة لحياة الأفراد في علاقتهم بربهم، وفي تعاملهم مع غيرهم، والقواعد والتشريعات المنظمة للدولة، والضوابط الشرعية المنظمة للمجتمع ككيان متماسك متكامل. والمجتمع في البعد القرآني مجتمع رباني إسلامي إنساني، والمخاطب بالقرآن إنسان مسلم مؤمن بالقرآن مستعد لتطبيق أحكامه وتوجيهاته وتشريعاته(16)؛ فلا بد أن يعرف دلائل عقيدته:

---

(16) لا نريد أن نثير هنا جدلية هل خطاب الشرع موجه للمسلم خاصة أم إنه موجه للمسلم والكافر؟ وهل الكافر مخاطب بالأوامر الشرعية؟ بالكليات؟ أم بالفروع؟ أم بهما؟ فتلك موضوعات لها مجالاتها الخاصة.

التوحيد، ولا بد أن يعرف كيفيات أداء عباداته، ولا بد أن يعرف الأحكام الشرعية في معاملاته التي يرتبط بها مع الآخرين الذين يحيطون به أو الذين يتربصون به، وحتى مع الكون والكائنات من النباتات والحيوانات والكون كله. فهناك ضوابط شرعية تضبط هذه العلاقات كلها:

- في القرآن الكريم القواعد الكبرى لها،
- وفي السنة بيان لبعضها وتفصيل لبعضها،
- وفي العلم الذي وهبه الله تبارك وتعالى لعباده مما نتدارسه ونتعلمه ما يساعدنا على أن نحسن لأنفسنا ونحسن التعامل مع غيرنا من الكائنات في ضوء التوجيه القرآني والبيان النبوي.

إن البحث في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من أهم فروض الكفاية(17) فكل من لديه القدرة والأدوات العلمية والمؤهلات الفكرية للبحث في القرآن بحثا علميا، عليه أن يقوم بذلك لأنه من شأنه أن يدفع بهذه الأمة، أمة العلم والمعرفة وتطوير الفكر والحضارة، إلىتنشيط الاكتشاف والاختراع بدافع إيماني لأننا نؤمن بالقرآن، وحين يأمر نا القرآن بالنظر في السماوات والارض - أي يأمرنا بالاكتشاف- فعلينا أن نكتشف نحن لاغيرنا ولا ننتظر الآخرين ليكتشفوا لنا.

---

(17) معلوم أن الفرض عند الفقهاء قسمان: فرض عين، وهو ما يتعين على كل فرد أن يؤديه كالصلوات المفرضة والصوم وغيرهما؛ وفرض كفاية، وهو الواجب الذي إذا قام به بعض الناس سقط وجوبه عن الآخرين كصلاة الجنازة، فإذا صلى بعض المسلمين على ميتهم كفي الآخرون، ولكن إذا لم يصل عليه أحد أثم كل من علم بالجنازة و لم يصل عليها.

وعلى الرغم من أن القرآن كما أسلفنا ليس كتاب معلومات علمية، فلقد تضمن كثيرا من كليات العلوم، وأعلى من شأن العلم، ورفع مكانة العلماء. ولكن لا يجهدن أحد نفسه ويبحث في القرآن الكريم عن المعلومات العلمية الدقيقة والنظريات العلمية المتغيرة، إنما في القرآن معلومات علمية كلية راسخة ثابتة غير متغيرة؛ ولا يمكن أن نجد فيه فرضيات علمية قابلة للتغيير، ومن ثم فلا يمكن أن نخضع القرآن للنظريات العلمية، بل لقد جرت أبحاث ومناقشات حول ما عرف بالتفسير العلمي للقرآن. (18)

فلكي نفكر في العلاقة بين القرآن الكريم والعلم لا بد من اعتبار أن الحقائق العلمية الواردة فيه إنما هي قوانين معيارية ينبغي أن يحتكم إليها العلم، لا أن يتحكم فيها، أي إن العلم يحتكم إلى القرآن ويتبعه وليس العكس، حتى لا نطبق على القرآن منهجا قد يتعسف عليه ويسيء تأويله وتوجيه معانيه؛ فالقرآن وحي من الله، والله كامل، وما جاء من الكامل فهو كامل، فما في القرآن لا بد أن يكون صحيحا، والمؤمن يقول هذا بصفته مؤمنا، لكن لابد من منهج علمي يقنع الآخرين بأن ما في القرآن هو المهيمن على العلم وليس العلم هو المهيمن على القرآن. ومن أجل هذا فالمسلمون مطالبون بالبحث العلمي، ومطالبون أيضا بالنظر في الحقائق العلمية على ضوء المستوى العلمي والفكري والحضاري للإنسانية، وأيضا في ضوء المنهج القرآني واستئناسا بآراء

---

(18) ينظر في الموضوع "جواهر القرآن"، و"إحياء علوم الدين" كلاهما للإمام الغزالي، و"الإتقان في علوم القرآن"للسيوطي، و"التفسير والمفسرون" لمحمد حسين الذهبي، و"اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر" لفهد الرومي.

السلف الصالح من المفسرين وعلماء الشريعة ما تعلق الأمر بنص من القرآن أو السنة فيه دلالة فكرية واضحة، أو إشارة علمية بينة، أما ما هو متروك للفكر البشري أو مسكوت عنه فهو مجال فسيح للنظر والفكر بالمنهج الإيماني والفكر التعبدي الرابط بين الحقيقة المطلقة الربانية وبين الحقيقة البشرية النسبية.

ولكن من أراد أن يفهم القرآن ويُفهِمَه فلا بد من الالتزام بالشروط الآتية:

1- أن يربط الآيات والسور والسياقات بعضها ببعض،

2- ثم يعرف ما قاله فيه الرسول ﷺ، لأنه أول مفسر للقرآن بأمر ربه:"**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**"(19).

3- وكما أمر الرسول ﷺ بتبيان ما أنزل إليه من العلم والقرآن كذلك أمر كل من يريد علما بالقرآن والشريعة أن يرجع إلى أهل الاختصاص والمعرفة من السابقين والمتضلعين: "**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**" (20). وأول ما ينبغي للمفسر أن يرجع إليه هو القرآن نفسه ليعرف ما ورد فيه تخصيصا لعام أو تفصيلا لمجمل أو تفسيرا لمبهم أو توضيحا لغامض أو نسخا لحكم(21)؛ ثم ما قاله النبي ﷺ إيضاحا وتبيانا، لأن كلامه جزء من الرسالة وأمر من الوحي، وكذا كلام من كان معه من الصحابة الذين نزل فيهم القرآن واستوعبوه بمداركهم، وكلام السلف الصالح من هذه الأمة،

---

(19) سورة النحل 44/16

(20) سورة النحل 43/16

(21) عند القائلين بالنسخ في القرآن، وهو مذهب جمهور علماء السلف والخلف من أهل السنة والجماعة.

ولو أنهم فهموه بالمستوى العلمي والفكري الذي كان في زمانهم، لكن لا بد من الاستئناس بآرائهم واستثمارها لإدراك السياق العام للقرآن. ولا يعقل أن يفسر القرآن أحد اعتمادا على الرأي الشخصي المجرد وبعيدا عن ذلك كله، ولسوف يجد الباحث في كلام الرسول ﷺ أو كلام الصحابة والسلف الصالح ما يساعده على التبين والبيان، فالأولى معرفة ذلك واعتماده في الفهم والاستنباط والحكم والاستدلال.

وقد طبق ذلك بالفعل بعض العلماء المتأخرين الذين قرأوا القرآن الكريم ودرسوه علميا ورجعوا في فهمه وتفسيره إلى القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح وقارنوا بينها وبين الفكر الحديث والمعاصر فما وجدوا تناقضا ولا عيبا(22)، وإنما وجدوا في بعض الأحيان النادرة ثلة من العلماء المتأخرين عن جيل الصحابة والتابعين قد أولوا القرآن تأويلا ضيقا أو خاضعا للفكر المحدود الذي كانوا يعيشونه، أما جيل الصحابة والتابعين فتأويلاتهم بقيت قابلة لمسايرة التطور العلمي وللانسجام مع الحقائق العلمية التي يحملها القرآن أو يكتشفها العلم البشري.

ويلاحظ أن في القرآن الكريم كثيراً من مظاهر التوافق والتلاقي بين

---

(22) مثال ذلك تفسير الإسكندراني "كشف الأسرار النورانية القرآنية"، وتفسير طنطاوي جوهري "الجواهر في تفسير القرآن الكريم"، وتفسير منصور حسب النبي "الكون والإعجاز العلمي للقرآن"؛ ويمكن أن نلحق بهذا النوع سلسلة أبحاث كتبها إدريس الخرشاف بعنوان "سلسلة التحليل العلمي لسور القرآن الكريم"، تحمل بعض أجزائها عناوين من مثل: "التفسير العلمي لسورة مريم" و"التفسير العلمي لسورة القدر" ..

حقائق العلم والنصوص الربانية يجدر تتبعها والوقوف عليها، تقدمت الإشارة إلى بعضها سابقا(23) ، وتبينا أنه دعا من دون سائر الكتب السماوية الأخرى إلى التفكر في الكون والتدبر في الكائنات والنظر في الأرض والسماوات. كما أن السنة النبوية تؤكد ذلك بكل وضوح:

فعن عطاء قال: **انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها، فدخلنا عليها، وبيننا وبينها حجاب، فقالت: ياعبيد، ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر: (زر غبا تزدد حبا). فقال ابن عمر: أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبكت وقالت: كل أمره كان عجبا!! أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: "ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ" فقلت: والله إني لأحب قربك وأحب هواك!** -زاد في رواية ابن كثير: **وإني لأحب أن تعبد ربك- فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال: يارسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "وَيْحَكَ يَابلاَلُ! وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيَّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ "إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**(24)

---

(23) راجع ص 85

(24) سورة آل عمران3/190

ثم قال: يَابِلالُ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَها وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا (25).

هذه دعوة صريحة للتفكر في الكون وآياته وظواهره، بأسلوب الوعيد، حتى لقد قيل "**إن التفكر في الآيات الكونية عبادة، وتقديمها إلى الناس دعوة**"؛ وهذا نداء من الرسول الأمين ﷺ لنا كي نتفكر في آيات الله؛ وقيل أيضا: "**إن القرآن كتاب الله المسطور، والكون كتاب الله المنظور**"، أي كما أمرنا أن نتدبر كتاب الله المسطور الذي هو القرآن، فكذلك مطلوب منا أن ننظر ونتأمل في كتاب الله المنظور الذي هو الكون من حولنا.

وهذه بعض شهادات لعلماء ليسوا مسلمين سمعوا بعض ما في القرآن الكريم من الآيات العلمية فبحثوا فيها ووصلوا إلى بعض الحقائق:

*موريس بوكاي(Maurice Bucaille): الباحث الفرنسي المعروف له آراء إيجابية اعترافية بفضل القرآن وصحة المعلومات العلمية المدهشة الواردة فيه مبسوطة في كتابه المشهور: la bible, le Coran et la Science

* الرحالة الباحث البحري كوسطو Cousteau: المعروف برحلاته في أعماق البحار، استفاد من آيات القرآن كثيرا واستغرب منها، وقيل إنه أسلم قبل وفاته.

* العديد من علماء الغرب شاركوا في مؤتمرات لإعجاز القرآن الكريم التي عقدتها هيآت علمية مختلفة منها (هيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم)، شاركوا بأبحاث أقتطف منها بعضها. مثلا:

---

(25) أخرجه ابن مردويه، وعبد بن حميد، وينظر تفسير الآية في ابن كثير.

- البروفسور (جورنج) أستاذ علم الأجنة في جامعة (جورج طاون) بأمريكا، قدم بحثا في أحد هذه المؤتمرات في تاريخ علم الأجنة انطلاقا من قول الله تعالى: "مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ"(66) وألقى هذا البحث في المؤتمر العالمي الأول عن الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في باكستان عام 1987؛ بين فيه أن هذه الآية والآيات الأخرى التي تتحدث عن تكوين الإنسان تجسد سؤالا أساسيا في علم الأحياء، وتلقي الأضواء الكاشفة على كيفية خلق الإنسان؛ ومما قاله في هذا الموضوع: "قبل القرآن لم يكن هناك أي تدوين صحيح لمراحل التخلق البشري، وإنما جاء التدوين الصحيح لمراحل التخلق البشري في القرآن الكريم". هذه شهادة!

- البروفيسور (كيت مور) كندي، أستاذ علم التشريح وبيولوجيا الخلية في جامعة (طرينطو- بكندا) ألف كتابا أسماه: "أطوار خلق الإنسان" وروى فيما رواه في كتابه هذا دقة الأوصاف القرآنية لمراحل التخلق الجنيني المختلفة والتي تصف الأطوار بأدق تفصيل، فأعلن دهشته وأخذ يتساءل: "كيف يكون لمحمد [صلى الله عليه وسلم]قبل 1400 سنة أن يصف الجنين وأطواره بهذا الوصف الدقيق الذي لم يتمكن العلماء من معرفته إلا منذ ثلاثين عاما؟[أي في الثمانينيات!] وسرعان ما تحولت دهشة هذا العالم إلى إعجاب فسار يتبنى آراء القرآن والسنة في المجامع العلمية التي يحضرها، ثم قدم محاضرة في مؤتمر الإعجاز الطبي الذي عقد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض بعنوان: "مطابقة علم الأجنة لما في القرآن والسنة".

- - - - - - - - - - - - -

(66) سورة عبس 80/18-19

ثم قدم البروفيسور (مور) هذا ثلاث حلقات في التلفزيون الكندي عن التوافق بين ما ذكره القرآن الكريم قبل 1400 سنة وما كشف عنه العلم في الزمن الحاضر. وعلى إثر أحد أحاديثه المتلفزة وجه له السؤال التالي:

- بروفيسور، معنى كلامك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟ فأجاب:
- لم أجد صعوبة في قبول ذلك. فقيل له:
- كيف تؤمن بمحمد وأنت تؤمن بالمسيح؟ فأجاب:
- أعتقد أنهما من مدرسة واحدة.

3 - إشارات علمية قرآنية عامة :

إذا ابتغينا آيات العلم فإننا نجدها في سور كثيرة، كالأنعام، والرعد، والحجر، والنحل، والمؤمنون، والنور، والفرقان، والنمل، ولقمان، وفاطر .. والسور التي تشتمل على حقائق علمية أو حث على العلم والنظر والتفكر كثيرة.

ويلاحظ أن حشرة النحل وحدها سميت بها سورة كاملة هي "سورة النحل"(26)، وكذا حشرة النملة "سورة النمل"(27).

وإذا أردنا تصنيف الجوانب العلمية التي توجد إشارات لها في القرآن الكريم وجدناه يتطرق بصفة من الصفات أو بوجه من الوجوه إلى جوانب شتى :

- فمنها ما يتعلق بالظواهر الكونية عامة من أمطار ورياح ورعد وبرق، وتكور الليل والنهار بعضهما على بعض وما إلى ذلك.

- ومنها ما يتعلق بالسماوات وما فيهن، والشمس والقمر والنجوم والكواكب وحركاتها وعلاقاتها ودلالاتها.

- ومنها ما يتعلق بالأرض وتكوينها وتطورها، والتربة وطبقاتها، والبحار وخصائصها.

- ومنها ما يتعلق بعلم النبات وأصنافه وأنواعه وفوائده وثماره وخواصها.

- ومنها ما يتعلق بالحياة وقوانينها، والإنسان وتكوينه وتطور تخلقه ومراحل حياته، والحيوان وطبائعه وأصنافه وغرائزه.

---

(26) هي السورة 70 في الترول، 16 في ترتيب المصحف.

(27) هي السورة 48 في الترول، 27 في ترتيب المصحف.

وقد يجمع القرآن الكريم في بعض الآيات إشارات متنوعة إلى ظواهر علمية أو كونية مختلفة، تنبيهاً إلى ضرورة التأمل المطلق في الكون والكائنات، وأن المجال فسيح والحجج قائمة والأدلة راسخة على أهمية الفكر والنظر وأثرهما لدى المتفكر العاقل النابه في الوصول إلى درجة اليقين إن هو أحسن التفكر وأمعن النظر؛ من مثل قوله تعالى: "وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُون، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ، أَفَلاَ يَشْكُرُونَ، سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِن أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ، وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ، وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ، وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ"(28)

وإذ لا يتسع المجال للبحث في كل تلك الجوانب وسبرأغوارها بدقة واستقصاء فلنأخذ منها بعض الأمثلة.

---

(28) سورة يس 36/32-45

* *من الظواهر الكونية :*

القرآنُ الكريم مليء بالآيات التي تتحدث عن الظواهر الكونية أو تشير إليها أو تمثل بها للتنبيه على خصوصيات معينة أو تقريب فكرة مبهمة، بل هي أكثر حتى من آيات الأحكام الشرعية. وحينما يتكلم القرآن عن إحدى الظواهر الكونية يدلنا على أن في ذلك آياتٍ، يعني حججاً قوية وبراهينَ قاطعةً على ضرورة أن يشتغل الإنسان بالعلم ليتيقن وليوسع دائرة معرفته، وإذا اتسعت دائرة معرفته استطاع أن يهتدي إلى الحقيقة، مع الوعي الكامل بأنه ليس هناك حقيقة مطلقة سوى حقيقة واحدة هي الله الخالق المدبر، وكل ما عداه سبحانه يقبل الاطراد والانحسار، والأخذ والرد لأنه نسبي :

- فالنور بالنهار والظلام بالليل، وجريان الشمس في مدارها المقدر لها، والقمر في حيزه الفضائي وحركته التي يرتبط بها تنوع فصول السنة واختلاف منازلها، وسباحة كل كوكب في مستقره من غير أن يدرك كوكب منه غيره أو يصطدم به.. كل ذلك ظواهر طبيعية تبعث على التفكر والتدبر في ملكوت الله: فكيف يتم ذلك وينتظم في حركة دائبة محسوبة مقدرة؟

وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ فَإِذا هُم مُّظْلِمونَ، وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَها، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، وَالْقَمَرُ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كَالْعُرْجونِ الْقَديمِ، لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ، وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ "(29)

---

(29) سورة يس44/36

- وللأمطار نزولها وسقيها للنبات وتوفيرها للمياه الجوفية أثرُها في إثمار النبات وازدهار الحياة وإنتاج الخيرات من الغلات الفلاحية؛ ومن الأنعام خيرها وألبانها ولحومها المغذية ودورها في حمل الإنسان ونقل حاجاته، بالإضافة إلى البواخر كوسيلة من وسائل النقل:

"وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ، وَإِنَّا عَلى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرونَ، فَأَنْشَأْنا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِن نَخيلٍ وَأَعْنابٍ لَكُمْ فِيها فَواكِهُ كَثيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلونَ، وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طورِ سِيناءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلينَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعامِ لَعِبْرَةً، نَسْقيكُم مِمَّا فِي بُطونِها، وَلَكُمْ فِيها مَنافِعُ كَثيرَةٌ وَمِنْها تَأْكُلونَ، وَعَلَيْها وَعَلى الفُلْكِ تُحْمَلونَ"(30)

- والسراب ظاهرة طبيعية صالحة لتصوير حال من يظن أنه يفعل شيئا ويجد شيئا وهو في الواقع يعول على خواء ويواجه الحقيقة المرة إذا لم يهيئ لنفسه عملا جادا حقيقيا؛ ومثل السراب في إجلاء تلك الصورة لجة البحر وقد تعالت أمواجه بعضها فوق بعض ثم علت الأمواج طبقات كثيفة من الغيوم الملبدة القاتمة التي يتحول فيها ضوء النهار إلى ظلام دامس، في تصوير قرآني تمثيلي بديع لحال من يعيش في ظلمات الكفر والغي و لم يستنر بنور الإيمان الحق الوضاء الهادي للإنسان في دروب الخواء ودياجير الكفر:

- "وَالَّذينَ كَفَروا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ، وَاللهُ

---

(30) سورة المؤمنون23/18-22.

سَرِيعُ الحِسابِ، أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ، ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ، إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها، وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِن نُّورٍ"(31)

- وكيفية تكون السحاب وتلبد الغيوم ولمع البروق ونزول المطر وتكون الثلوج وتصريف ذلك وتوزيعه على الأراضي الزراعية، والمناطق المختلفة، فيه دليل آخر ومهماز آخر للتفكير والتأمل والبحث، وفيه عبر وآيات:

"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّن يَشاءُ، يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ، يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الأَبْصارِ"(32)

وكثيرا ما تحث الآيات الكريمات على النظر في الكون ومكوناته وظواهره، وتطلب من الناس أن يدكروا ويتذكروا ويتفكروا ويتدبروا، وذلك لأجل مصلحة الإنسان وخير البشرية وتقدمها العلمي النافع والمعرفي المفيد، ولأجل تحقيق الإيمان بعظمة الله وتقرير قدرته وإبداع صنعه في خلقه:

- "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"(33)
- "كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ"(34)

---

(31) سورة النور38/24-39.

(32) سور النور42/24

(33) سورة الذاريات49/51

(34) سورة البقرة 219/2 , 266

- "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"(35)
- "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ"(36)

وفي خطاب موجه إلى محمد ﷺ وإلى العلماء من بعده يأمر الحق سبحانه وتعالى بالنظر المتأمل الفاحص في الكون سمائه وأرضه وظواهره :

"قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ"(37)، فهذا أمر صريح من الله تبارك وتعالى بأن ينظر الإنسان في الكون المبثوث في ملكوت الله، وليس النظر هنا بأن يسرح الإنسان بصره في الآفاق، أو يضع المنظار على عينه ويشاهد الكون والكائنات! بل بأن يبحث البحث العلمي عما في السماوات من الكواكب والأفلاك والنجوم والأجرام والمجرات الفضائية والمجموعات الشمسية؛ وأن يبحث البحث العلمي عما في الأرض من مكونات وخيرات وطبقات ومعادن وأملاح ونباتات ..

ويماثله الأمر الرباني الوارد في قوله تعالى: "أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ"(38)، وقوله سبحانه: "مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ"(39).

فمن المعلوم أن خلق الحيوانات الضخمة كالإبل، وهي التي ألفها المجتمع الذي نزل فيه القرآن، يبعث الناظر المتأمل على الإقرار بعظمة الخالق، فذلك أدعى إلى الإذعان والإقرار والإيمان؛ وكذلك فوقية السماء التي ترى

---

(35) سورة النحل 44/16 (36) سور الروم 21/30، والزمر 42/39، والجاثية 13/45
(37) سورة يونس101/10 (38) سورة الغاشية17/88 (39) سورة الرحمن55/19-20

دائما عالية مرتفعة بغير عمد؛ وارتفاع الجبال الشاهقة راسية منتصبة؛ وامتداد الأرض ممهدة ذات سطح يُستوَى عليه ويُستَقَرّ. ومياه البحار يجد الباحث المتأمل فيها أن لكل منها خصوصيات كيماوية ومعدنية تختلف عن مياه البحار الأخرى، فالبحر الأبيض المتوسط يختلف عن المحيط الأطلسي، ولكل واحد منهما خصوصياته وأملاحه التي يتكون منها ومعادنه التي يحتوي عليها، وبسبب ذلك لا يمكن أن تتعدى مياه أحدهما إلى الآخر أو تتلاحم مياههما وتختلط، بل هناك حد فاصل بين الماءين وبرزخ بين البحرين، والله عز وجل هو الذي قضى بذلك بقدرته على الخلق وإرادته سبحانه التمييز بين المختلفات كما قدر التوفيق بين المؤتلفات. وفي العصر الحديث فقط توصل العلماء إلى هذه الحقيقة.(40)

قس على ذلك ما يتعلق بالأرض، والنباتات، والحيوانات وعلومها، وبالفضاء والكواكب والنجوم وحركاتها ودلالاتها على أحوال الطقس وتقلبات الجو وحدوث الرياح ونزول الأمطار وتعاقب الليل والنهار وفصول السنة.. كل ذلك أمرنا بالنظر فيه وتدبره.

وقد يعجب الإنسان أنه لا ينتبه لبعض الأشياء فوق الأرض طفيفة جدا لكنها دقيقة محكمة مؤثرة. فإلى وقت جد قريب كان الناس يعتقدون أن الذرة لا تنقسم، ثم اكتشفوا أنها تنقسم، وتنبه الناس فقالوا إن في القرآن دليلا على أن الذرة تنقسم، وذلك قوله تعالى:"إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى"(41)، وما علينا إلا أن نبحث عن الوسائل الموصلة إلى معرفة كيفية تقسيمها.

---

(40) يذكر في هذا المجال الباحث الفرنسي المتخصص في علم البحار{كوسطو = Cousteau} الذي اكتشف هذا الأمر ودهش دهشة كبرى لما أخبر أن هناك آية في القرآن تنص على هذه الحقيقة العلمية التي لم يكن بمستطاع النا س أن يفهموها لما نزلت قبل 14 قرنا من اكتشاف خصائص المياه ومكونات البحار والنظريات العلمية المترتبة على ذلك و المستنبطة منه.

(41) سورة الأنعام 95/6.

تقسيمها. فكيف لم ينتبه الناس إليها في القرون الخوالي؟ ولماذا لم يبحثوا ليصلوا إلى معرفة أن الذرة تنقسم؟ فلما عرف الإنسان ذلك استطاع أن يستغل انقسام الذرة في صنع المتفجرات والأسلحة النووية والقنابل الذرية، واستخدم ذلك في توليد الطاقات استخداما إيجابيا نافعا، كما استخدمه في الحروب المدمرة والانفجارات المخربة !

* مما يتعلق بالسماوات وما فيهن :

تحدثت آيات قرآنية كثيرة عن السماوات وتكوينها وخصائصها، تلفت النظر إلى ما فيها من الآيات البينات والحجج القاطعات والعلوم والمعارف والحقائق الباهرات، وتشير إلى ما فيها من المشاهد والمكونات والآثار والمركبات، والنجوم والكواكب السابحات، وتنبه إلى النظر فيها والتفكر والتأمل للاستدلال على عظمة الخالق الجليل سبحانه وتعالى وكمال قدرته وجميل صنعه. إنه عالم من عوالم الكون، وجزء من ملكوت الله للمتأمل المتدبر:

"**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ والأرْضِ**"(42)،

"**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْناها وَزَيَّنَّاها وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**".(43)

فالله سبحانه هو بديع السماوات بقدرته، القائم على شساعتها بحكمته:

"**وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْيدٍ، وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**"(44).

---

(42) سورة الأعراف185/7

(43) سورة ق6/50

(44) سورة الذاريات47/51

والنجوم والكواكب من مخلوقات الله، وهو سبحانه الذي جعلها بفضله ومَنِّه علامات يهتدي بها الناس في تيه البراري المقفرة وفي خضم البحار المجهولة، وفي ذلك للمفكر المعتبر آيات أخرى هادية إلى المعرفة واليقين:

- "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بِها فِي ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحْرِ، قَدْ فَصَّلْنا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"(45)

- "الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً، ما تَرى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفاوُتٍ، فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرى مِنْ فُطُورٍ، ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ، وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيا بِمَصابِيحَ وَجَعَلْناها رُجُومًا لِلشَّياطِينِ"(46)

* مما يتعلق بالأرض وتكوينها ومكوناتها :

كما وردت إشارات إلى الأرض ومدها وتمهيدها وتيسيرها للإنسان كي يسيح فوقها، والجبال الرواسي وتثبيتها ومهمتها في إرساء الأرض وفوائدها الكثيرة، والتربة وإنتاجاتها النباتية المتنوعة ومنافعها:

- "وَالأَرْضَ مَدَدْناها وَأَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ"(47)،

- "وَالأَرْضَ فَرَشْناها، فَنِعْمَ الماهِدُونَ"(48)

وفي لفت الأنظار إلى ما حول الإنسان في الأرض التي يدب عليها من آيات يقول سبحانه:

---

(45) سورة الأنعام6/98

(46) سورة الملك67/4-5

(47)سورة ق 50/7-8

(48) سورة الذاريات،51/48

"وَفِي الأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ"(50) أي دلائل مقنعة على عظمة الخالق وجليل نعمه للذين منحهم الله اليقين والصبر على اكتشاف الحقائق:

"اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَموا أَنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً"(51)

* *مما يتعلق بعلم النباتات :*

وفي موضوع علم النبات آيات لافتة للنظر باعثة على التفكر والتدبر والاستطلاع، داعية إلى النظر العلمي المتفحص الباحث عن الحقائق المستكشف لنعم الله وآلائه: "فَانْظُرْ إِلى أَثَرِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها"(52) بسقي الأرض مزارعها الشاسعة، وبساتينها المخضرة، وحقولها المزروعة بأشجار النخيل والأعناب والزيتون والرمان على اختلافها وتشابهها، بالأمطار المنعشة للنبات، الواهبة للحياة، المزينة للمناظر، المبهجة للنفوس والخواطر؛ فإذا أينعت الأغصان، وأثمرت الأشجار، وأزهرت الحقول، فذلك حافز آخر للنظر والتأمل:

"وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ نَباتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَراكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ. اُنْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ إِذا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(53)،

---

(50) سورة الذاريات 20/51

(51) سورة الطلاق12/65

(52) سورة الروم50/30

(53) سورة الأنعام100/6

"وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ، كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَلاَ تُسْرِفُوا، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"(54)

والأرض بغير أمطار الرحمة التي يتكرم بها الخالق البارئ عز وجل جرداء خامدة جامدة هامدة لا أثر بها للحياة ولا قوت بها للأحياء، فإذا أنزل الله غيثا اهتزت جنباتها، وابتهجت أرجاؤها بالخضرة واليبنع، وأنبتت من أنواع النبات ما يبهج النفوس ويشرح الخواطر: "وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"(55)

* *ما يتعلق بالحياة والإنسان وتطور الكائنات الحية*

في هذا الجانب نجد إشارات إلى تكوين المخلوق الحي وتطور تخلقه ومراحل حياته وتقلباته:

"قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ؟"(56)،

"وَفِي أَنفُسِكُمْ، أَفَلاَ تُبْصِرُونَ"(57)،

والمعنى والله أعلم : افتحوا أيها الناس عيونكم جيدا لتروا، وافتحوا ذاكرتكم وبصيرتكم، واشرعوا أبواب الفهم، وتعمقوا في العلم والإدراك، لتستطيعوا أن تكتشفوا ما في أنفسكم من الخبايا. ولو عرض الإنسان على محك البحث والنظر جهازا واحدا من أجهزة جسمه كالبنكرياس مثلا كيف يعمل؟ وما أهميته في وظيفته العضوية؟ وما الذي يحصل إذا تعطل عن العمل أو اختل عمله أو استؤصل من الذات؟ وهل يعوض عمله حقن الجسم بحقن أو

---

(54) سورة الأنعام 142/6

(55) سورة الحج5/22

(56) سورةالعنكبوت19/20

(57) سورة الذاريات21/51

تطعيمه بأدوية ومواد معينة؟ وهل تؤدي تلك الأشياء الدور نفسه الذي تؤديه غدة البنكرياس؟ وبنفس الدقة والمنفعة؟؟ إذن لتبين عظمة الله وجميل صنعه وإبداعه في خلقه !! وهذه غدة واحدة وليس جهازا !!

فإذا تأملنا في الجهاز الدموي، أو في الجهاز الهضمي، أو في الجهاز التنفسي، أو في الجهاز العصبي، أو في أي جهاز آخر، فإن كل جهاز يبهرنا بتكوينه وتركيبه وكيفية عمله الذاتي وأدائه لوظيفته الخاصة:

- فالجهاز الدموي ينظم الدورة الدموية في الجسم كله بشكل مدهش(58).

- والجهاز الهضمي يهضم هذا الطعام، وقد لا يهضم طعاما معينا، أو قد يهضم نوعا من المأكولات بسهولة ونوعا آخر بصعوبة!

- والجهاز التنفسي يعمل بنشاط وحيوية في جو معين، ويضيق وتعسر عملية التنفس عنده في جو آخر!

- والجهاز العصبي بعمله المعقد والموزع على أعضاء الجسم بشكل دقيق محكم ..

لقد خلق الله تبارك وتعالى كل جهاز بقدر، وسخر كل جهاز لعمل معين:

- "فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ"؟(59)

- "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ"؟(60)

وعن خلق الإنسان ومراحل تكوينه يتحدث القرآن الكريم في مناسبات عدة وبدقة علمية متناهية بهرت العلماء المتأخرين وأدهشتهم وزرعت الإيمان بالقرآن واليقين بصدق الإسلام في قلوب بعضهم، منها قوله سبحانه وتعالى:

---

(58) ولعلنا نعلم جميعا أن علماء المسلمين كانوا هم السباقين لاكتشاف الدورة الدموية في جسم الإنسان ورسموها.

(59) سورة الطارق5/86 (60) سورة الروم 8/30

"يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ، وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ، وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِلِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً"(61)

وقوله سبحانه: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ"(62)

وقوله سبحانه: "وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ، فَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ، يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ، إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"(63).

فإذا تتبع الباحث الآية السابقة من سورة الحج فإنه يجدها تصور مراحل تكوين الجنين في رحم أمه بكامل الدقة والتفصيل، وقد ساق الله تبارك وتعالى هذه الآية في معرض الاستدلال على قدرته سبحانه على الإحياء من جديد وعلى البعث والنشور لأن الناس كانوا ينكرون يوم البعث، فيقول لهم الحق سبحانه وتعالى: إذا كنتم تشكون في البعث فتفكروا في هذا الموضوع وابحثوا وتأملوا، تجدون أنه دال دلالة قطعية على أن الله قادر على أن يخلق الإنسان من نطفة فيها عدة ملايين من الحيوانات المنوية لا تساوي شيئا في حجمها ومعظمها يموت في الطريق قبل أن يصل إلى البويضة

---

(61) سورة الحج5/22 (62) سورة المؤمنون 23/12-16 (63) سورة النور24/43

ليلقحها فتبدأ الحياة وينطلق تكوين هذا الإنسان الذي سيخلق بعد مدة في أحسن تقويم، فإذا وصل حيوان منوي واحد ولقح البويضة تكونت العلقة، التي تعلق بجدار الرحم حاضنها، ثم صارت العلقة بإذن ربها مضغة، ثم تخلقت المضغة فاتخذت الشكل والنوع الذي يقدره الله الخالق جل شأنه؛ ثم يتطور الخلق في ظلمة الرحم بإذن الخالق عز وجل ويستقر فيه ما شاء الله له أن يستقر قبل أن يخرج إلى الوجود طفلا كامل الصورة ..

تفكروا في هذا تجدوا أن الله القادر على الخلق من عدم قادر سبحانه على أن يحيي الإنسان، أي يبعثه بعد موته؛ وتلك دعوة إلى الإيمان والتوحيد بطريق الاستدلال العلمي .

ولقد ألهمت الآيات المذكورة من سورة المؤمنون العلماء المتخصصين في علم الأحياء أن يفكروا فيها ويحاولوا أن يستخرجوا منها الحقائق العلمية الواردة في القرآن الكريم.

وفي الحديث النبوي أيضا نصوص تتناول مراحل تكوين الجنين منذ لحظة التلاقح وإلى اكتمال الصورة البشرية، هذا مع أن محمدا ﷺ لم يتخرج من جامعة ولم يدخل مدرسة ولا معهدا ولم يجالس علماء ولا درس من علم (البيولوجيا) شيئا قليلا ولا كثيرا! ولكنه الوحي.

فمن الأحاديث النبوية في الموضوع قوله ﷺ: **"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة** [أي جرما عالقا بجدار الرحم] **مثل ذلك، ثم يكون مضغة** [قدر ما يمضغه الإنسان في فمه من الطعام] **مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح .."** الحديث(64)

---

(64) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وبدون تفصيل أقول: إن هذا الكلام لا يعني أن الإنسان مجبر، وإنما علم الله عز وجل في الأزل أن ذلك الجنين الذي هو في مرحلة التكوين الأولية ما ذا سيكون و كيف سيعيش وما ذا سيختار، فقدر ذلك كما علمه؛ ويأتي الملائكة في مرحلة التكوين فيطبقون عليه ما علمه الله عنه في الأزل حيث يؤمرون بكتب قدره الذي سبق في علم الله؛ ومن المعلوم المسلم لدى كل مؤمن أنَّ "**اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّماءِ**": ما كان منه وما هو كائن وما سيكون، وأنه سبحانه "**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ**"(65).

كل ذلك من المكتوب، ولكن ما يكتبه الله على الإنسان أو يقدره عليه هو ما علم الله أن العبد سيختاره؛فالإنسان حر مختار ومع ذلك يتصرف ويتحرك ويسأل الله أن يرزقه حسن الخاتمة لأنه يجهل عاقبة أمره ولايعرفها، الله يعرفها فليسأل ربه حسن الخاتمة.

---

(65) سورة آل عمران 3/5-6

الخاتمة



يقول الحبيب رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**إقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه:** رواه مسلم. ويقول صلى الله عليه وسلم:"**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين**":رواه مسلم.

وسمع أعرابي رجلا يقرأ قوله عز وجل: "**فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا**" [سورة يوسف80/12]، فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام!! ووجد عمر رضي الله عنه ما وجد عندما سمع قارئا يقرأ "**والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع، ما له من دافع..**" فارتكن إلى الجدار، ثم عاد إلى بيته، يعوده الناس شهرا، مما ألم به.

ثم إن القرآن لم يترل لمجرد تلاوة آياته وترديد حروفه وكلماته، أو تعليق صحفه على الجدران أو تزيين البيوت والأماكن بمصاحفه؛ وإنما أنزل ليكون دستورا للعمل ومنهجا للحياة وأخلاقا في التعامل وشريعة في الحكم، وتوجيها في العبادة، وأساسا في العقيدة.

ومن ثم ذم المقصرون في تلاوته، الغافلون عن معانيه وهم يتلون آياته، ولزم أن تشترك في تلاوته اللسان والعقل والقلب وجميع الجوارح، ووجب على القارئ أن يلتزم ضوابط النطق والفهم والبيان والتبين، كما وجب على كل مسلم أن يجتهد في حفظ ما استطاع من كلام الله تعالى، وأن يتخذ له منه وردا يوميا بالقدر المستطاع لا يتخلى عنه مهما كانت الظروف والأحوال، فإن من أهم أسباب حفظ القرآن حسن تلاوته والمواظبة على تكراره ودراسته.

ويقول بعض الشعراء في القرآن الكريم :

*** ياحافظ القرآن أبشر :**

إني سألتُ، ولستُ أجهل بُغْيَتي — لِمن الضياءُ؟ لفرْقَدٍ يَتَهَـــلَّلُ
ليست نجوم الليل تنثرضوءهـــا — بل حافظُ القرآنِ حين يُرَتِّـــل
هو حافظ القرآن تحفده الذرا — تسمو له، لكنه لا ينـــــزل
ترك الترابَ لأهله مترفـــعاً — ولحافظ القرآن ر أ س أطـــول
يمشي وينتعل السحابَ، وتاجُه — رمزُ النجومِ ، بضوئها يَتسربَل
رتِّلْ، فإن سماء نا صحـــــوٌ — وللقرآن سُحْبٌ عن قريب تَهطل
رتل لِتَنْبُتَ في القلوب حدائقٌ — أنهارُها بِيضٌ ، ويَنبُع جَـــدْوَلُ

*** نعم السمير كتاب الله :**

نعم السميرُ كتابُ الله إن لـــه — حلاوةً هي أحلى من جنى الضَّرَبِ
به فنون المعاني قد جُمِعَت، فما — تَفتَرٌّ من عَجَبٍ إلا إلى عَجب
أمرٌ ونَهيُ وأمثالٌ ومَوعِظَـــةٌ — وحِكمةٌ أُودِعَت في أفصَحِ الكتُب
لَطائفٌ يَجتليها كلُّ ذي بَصَـــر — ورَوضةٌ يَجتنيها كلُّ ذي أَدَبِ

شروط التعامل مع القرآن الكريم

لتلاوة القرآن الكريم والتعامل معه شروط وآداب ظاهرة، وأخرى باطنة :

فأما *الشروط الظاهرة* فمنها ما يتعلق بحال القارئ، كالوضوء، والوقار في الهيئة، واستقبال القبلة، والتواضع وخفض الجناح.

ومنها ما يتعلق بطريقة القراءة وهي البدء بالتعوذ، والقراءة بالترتيل، والإسرار بها تجنبا للرياء، وتحسين الصوت بالقراءة إذا جهر من غير تمطيط أو تشويش على الغير، والتدبر، والتأمل، والبكاء، ومقارنة الحال بالآيات المقروءة، ومراعاة حق الآيات كالسجود عند آيات السجدة والاستغفار أو التسبيح أو الحمد والثناء إذا مر بشيء من ذلك. وأما مقدار ما يقرأه المسلم من القرآن فيمكن ختمه في أسبوع أو في شهر وهذا هو الأحسن.

وأما *الشروط الباطنة* فأولها الإيمان القلبي المطلق والتصديق الكامل بالقرآن، لأن الذي لا يؤمن بأمر لا يمكن أن يتفاعل معه أبدا مهما كان مقنعا أو مبرهنا، فإذا لم ينفتح القلب للقرآن لم ينفعل به قارئه ولم يتفاعل معه ولن يتحقق له فهمه وإدراك أبعاده الإيمانية وظلاله النفسية والشعورية.

ومنها توقير كلام الله واستشعار علو قدره، وتعظيم المتكلم، لأنه الله العظيم الخالق القادر المتفضل، والاعتراف بفضله على العباد ولطفه بهم إذ أسمعهم كلامه سبحانه وتعالى. ثم حضور القلب والخشية به وترك كل ما يلهي عن التأمل والتفكر، وحصول التدبر، وهو المقصود بالقراءة ولأجله لزم الترتيل وأمر به، والتفهم لما في الآيات من صفات الله تعالى، ومن ذكر أحوال الأنبياء والأمم ..والتخلي عن موانع الفهم، كالعناية المفرطة بالحروف وتحقيقها، والتخصيص: بأن يقدر القارئ نفسه أنه المقصود بكل خطاب في القرآن الكريم؛ قال محمد القرظي: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله.

حفظ القرآن الكريم

حفظ القرآن سهل يسير على من يسره الله تعالى عليه، كما قال تعالى: "**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**" [سورة القمر 17/54]، ولكن القرآن الكريم يحتاج إذ تكرار وتعهد ومراعاة أسباب التمكن والحفظ والتذكر، لأن النبي ﷺ أمر بتعهد القرآن، وحذر من تعريضه للنسيان، فقـــال ﷺ: "**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الإبل في عقلها**" [متفق عليه]

الدعاء لحفظ القرآن الكريم

في حديث رواه الترمذي في السنن، والحاكم في المستدرك، عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: بأبي أنت وأمي، تفلت هذا القرآن من صدري فما أجدني أقدر عليه !فقال له رسول الله ﷺ: "**يا أبا الحسن أفلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، وينفع بهن من علمته، ويثبت ما تعلمت في صدرك؟**" قال: أجل يارسول الله، فعلمني. قال:

"**إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم في ثلث الليل الآخر، فإنهاساعة مشهودة، والدعاء فيها مستجاب، فقد قال أخي يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربي، يقول حتى تأتي ليلة الجمعة. فإن لم تستطع فقم في وسطها، فإن لم تستطع فقم في أولها : فصل أربع ركعات :**

- تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس،

- وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان ،

– وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل (هي سورة السجدة)،

– وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك الفصل(هي سورة الملك).

فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء عليه، وصل علي وأحسن، وعلى سائر النبيين. واستغفر للمومنين والمومنات ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك: (اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني. اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك ياألله يارحمن بجلالك ونور وجهك، أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني. اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام أسألك يا ألله يارحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري، وأن تنطق به لساني، وأن تفرج به عن قلبي، وأن تشرح به صدري، وأن تستعمل به بدني، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتينيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم). يا أبا الحسن، تفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا تجاب بإذن الله. والذي بعثني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط".

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فوالله ما لبث علي إلا خمسا أو سبعا حتى جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال: يارسول الله، إني كنت فيما خلا لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهن، فإذا قرأتهن على نفسي تَفَلَّتْنَ، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتهن على نفسي فكأنما كتاب الله بين عيني، ولقد كنت أسمع الحديث، فإذا ردَّدته تفلت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أَخْرِمْ منها حرفاً. فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: **"مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن" .**

قواعد وشروط أساسية للحفظ :

1) *الإخلاص :* يجب إخلاص النية وجعل حفظ القرآن والعناية به من أجل الله سبحانه وتعالى وحده.

2) *تحديد نسبة الحفظ:* يجب تحديد ما يستطيع حفظه في اليوم من الآيات أو الأسطر أو الصفحات، وعدم تجاوزه حتى يجيد حفظه إجادة تامة قبل أن ينتقل إلى ما يليه ليثبت في الذهن .

3) *مصحف واحد:* يجب استعمال مصحف واحد ورسم واحد لا يغيره مطلقا، ليتعاون السمع والنظر، ويقع التركيز وتألف العين مواقع الكلمات والآيات..والأفضل استعمال الرسم الشائع.

4) *تصحيح النطق والقراءة:* يجب تصحيح النطق بالأحرف والكلمات والجمل والآيات، ولا يكون ذلك إلا بالسماع من قارئ مجيد أو حافظ متقن، فالقرآن لا يؤخذ إلا بالتلقي .

5) *التسميع:* يجب أن لا يعتمد على حفظه بمفرده بل يجب أن يعرض حفظه دائما على غيره، فقد يكون مخطئا في شيء حفظه محرفا وصار يظن من حيث لا يشعر أنه صواب ولا يدري أنه خطأ .

6) *المراجعة المركزة:* إذا أنهى الحافظ سورة أو جزءا أو حزبا لا يواصل الحفظ إلا بعد المراجعة المركزة والدقيقة والإتقان التام لما حفظه حتى يتيقن منه ويقرأه بدون أي تعتر أو خطأ أو عناء .

7) *التكرار والترديد:* يكثر من قراءة القدر المخصص للحفظ وتكراره وترديده، ويجب أن يكون هذا التكرار منضبطا بضوابط القراءة السليمة

الجيدة كما يتلقاها الحافظ ممن يأخذ عنه. وذلك ليعمل بالسنة أولا، وليثبت الحفظ ثانيا. ولا شك أنه مما يعين على الحفظ أن يجعل الحافظ ذلك القدر المخصص للحفظ شغله طيلة ساعات الليل والنهار، وذلك بقراءته في الصلاة السرية أو الجهرية، في الفرائض وفي النوافل، وفي أوقات انتظار الصلوات وغيرها، وفي ختام الصلاة أيضا..

8) *التعهد بالمتابعة الدائمة:* فالقرآن يختلف عن أي محفوظ آخر، إنه سريع الهروب من الذهن، ولابد من المتابعة الدائمة للمحفوظ والسهر الدائم عليه وتعهده، بأن يكون لحافظ القرآن الكريم ورد يومي يثابر عليه ويداوم قراءته.

9) *اغتنام الأوقات المناسبة الهادئة* كالصباح الباكر مثلا، أو أي وقت يجد الحافظ فيه راحته وهدوءه، كأن يكون القارئ طاهرا متقنا للقراءة خاشعا فيها متمثلا للمعاني التي يمر بها متأملا في الآيات ممتثلا للتوجيهات، مستحضرا أنه مخاطب معني بها وأن رب العزة سبحانه يخاطبه مباشرة إذ هو يقرأ كلام الله الأعظم أو يستمع إليه، فإذا مر بأمر أقره وعول على تطبيقه والتزامه، وإذا أمر بنهي تعوذ وعزم على الانتهاء عنه واجتنابه..

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين والمرسلين،
وإمام الأتقياء والصالحين، وقائد الغر المحجلين
وعلى زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى آل بيته الطيبين، وعلى أصحابه البررة الأكرمين، وعلى التابعين وتابعيهم، وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين. وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين



فهرس المحتوى